

## الباب السادس

### ملحقات

#### المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام

- المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام.
- المستشرقون المعاصرون.
- المتطرفون من المستشرقين.
- بعض الكتب المتطرفة.
- كتاب «مجد الإسلام» لجاستون هييت.
- المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ومدى  
اقترابهم من حقيقة الإسلام والقومية العربية.



## المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام

### مقدمة:

إذا كان من دواع استقرار الحكم الوطنى فى مصر الحديثة الثائرة عزلة عملاء السياسة وإبعادهم عن الحياة السياسية، فإن من صالح قيادة الأمة -كشعب موحد الاتجاه. قوى فى أحاسيسه المشتركة- أن ينحى عملاء التبشير والاستشراق من جوانب التوجيه العام سواء فى التثقيف. أو النشر، أو الصحافة أو الإذاعة.

إن عملاء التبشير والاستشراق -وهم عملاء الاستعمار فى مصر والشرق الإسلامى- هم الذين دربتهم دعوة التبشير على إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية فى ماضى هذه الأمة وعلى التنديد والاستخفاف بها. وهم الذين وجههم كتاب الاستشراق إلى أن يصوغوا هذا الإنكار والتنديد والاستخفاف فى صورة البحث، وعلى أساس من أسلوب الجدل والنقاش فى الكتابة أو الإلقاء عن طريق المحاضرة أو الإذاعة.

إن التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار فى مصر والشرق الإسلامى، فكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية، والغرض من اللغة العربية الفصحى، وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب العربية، وكذا بين الشعوب الإسلامية، والتنديد بحال الشعوب الإسلامية الحاضرة، والأزدراء بها فى المجالات الدولية العالمية:

● فهناك الدعوة إلى أن القرآن:

- كتاب مسيحي يهودى نسخه محمد!
- وأن الإسلام دين مادي لا روحية فيه، يدعو إلى الدنيا وليس إلى صفاء النفوس والمحبة.
- وأنه -أى الإسلام- يميل إلى الاعتداء والاعتيال، ويحرض أتباعه على القسوة على غير المسلمين عامة!
- كما أنه يدعو إلى الحيوانية والاستغراق فى الملذات الدنيا!

● وهناك الدعوة إلى :

- أن الفلسفة العربية فكر يوناني، كتب بأحرف عربية.
- وأن اللغة العربية الفصحى لم تعد صالحة اليوم، بدلاً منها يجب أن تستخدم العامية واللهجات الدارجة، كما يجب أن تستخدم الحروف اللاتينية عوضاً عن الأحرف العربية!

● وهناك الدعوة إلى :

- إحياء الفرعونية في مصر.
- والآشورية في العراق.
- والبربرية في شمال أفريقية.
- والفينيقية على ساحل فلسطين ولبنان.
- وإلى تفضيل الفارسية - كلغة آرية - على العربية كلغة سامية.
- وإلى أن الذي حمل أمارات الحياة الأدبية الجديدة في الشرق العربي في نهاية القرن التاسع عشر، وكذا في الشرق الإسلامي، وحمل مظاهر الحضارة عامة - هم نصارى لبنان الذين تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين في سوريا.
- وإلى أن البربر وحدهم هم أصحاب المدنية في شمال أفريقية والأندلس.
- التنفير من حياة المسلمين الحاضرة؛ لأنها حياة بدائية ذليلة.
- وإلى أن السبب في ذلك هو تعاليم الإسلام والتمسك بها.
- والتبشير والاستشراق في ذلك سواء. والفرق بينهما هو: أن الاستشراق أخذ صورة «البحث» وادعى لبحثه «الطابع العلمي الأكاديمي» بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر «العقلية العامة» وهي العقلية الشعبية.
- استخدم الاستشراق: الكتاب والمقال في المجلات العلمية، وكرسى التدريس في الجامعة، والمناقشة في المؤتمرات «العلمية» العامة.
- أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسى في دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء. كما سلك سبيل العمل

«الخيرى» الظاهرى فى المستشفيات، ودور الضيافة والملاجئ للكبار. ودور اليتامى واللقطاء. ولم يقصر التبشير فى استخدام «النشر والطباعة» وعمل «الصحافة» فى الوصول إلى غايته.

إن البلاد العربية والإسلامية فى يقظتها الحالية تتعثر فى خطاها نحو التماسك الداخلى، ونحو تقوية العلاقات بينها، بسبب الرواسب التى تخلفت عن التبشير والاستشراق، وبسبب آخر له وزنه فى هذا التعثر وهو ضعف المواجهة التى يلقاها فى البلاد الإسلامية هذان العاملان القويان فى تركيز الاستعمار، وبعثرة القوى الوطنية فى كل بلد عربى وإسلامى.

والمؤسسات الإسلامية -على تعددها وتنوعها- لم تعر تمامًا حتى الآن «وضعية» التبشير والاستشراق فى توجيه الشعوب العربية والإسلامية، حتى تحاول أن تلقاها، فضلاً عن أن يكون لقاؤها إياها قوياً أو ضعيفاً:

١- فالأزهر وهو أكبر المؤسسات الإسلامية فى الشرق العربى والإسلامى -لم يخرج برسائله كثيراً حتى الآن عن أن يكون ترديداً لتفكير القرون الوسطى فى مواجهة بعضهم بعضاً كأحزاب وأصحاب مذاهب فقهية وكلامية أو شعوية (سنة وشيعة) أو ترديداً لتفكير المتأخرين الذين سلبوا الإنسان أخص مقوماته فى الدنيا وهى ميزة الحياة. ولكن الأمل كبير الآن فى إصلاح الأزهر.

٢- وجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، هى تقليد لجمعية الشبان المعروفة من قبل عند غيرنا فى جانب، وابتعاد عنها فى أهم جانب من جوانب رسالتها. تقلدها فى ممارسة الرياضة، ولكنها لا تقلدها فى جعل الرياضة وسيلة من وسائل التربية والإيمان، كما تفعل جمعيات الشبان الأخرى. أما ما يلقى فيها من محاضرات، أو يعقد فيها من ندوات، فينقص هذه وتلك عنصر الجدوية وحرارة الإيمان...

٣- وجمعية التعريف الدولى بالإسلام (التي تعقد اجتماعاتها بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة) هى جمعية طابعها شخصى، أكثر من أن يكون حملاً لرسالة وبعثاً لها، أو نشرًا لمبادئها فى بلاد العالم، كما هو المفهوم من اسمها وصفاتها.

٤- ومعهد الدراسات الإسلامية (بالروضة بالقاهرة) معهد حديث النشأة لم يتميز اتجاهه بعد، هل هو علمانى على نحو أسلوب الدراسة العلمانية فى التراث الإسلامى التى أدخلها علماء التبشير والاستشراق فى الجامعات المصرية؟ أم هو تقليدى على نحو ما يفعل الأزهر فى طريقته؟

\* \* \*

إن رواسب التبشير والاستشراق التى أشرنا إليها فيما مضى لا تتمثل فقط فى المؤسسات التبشيرية المختلفة الظاهرة فى مصر والبلاد العربية والإسلامية. بل هناك أيضاً مؤسسات أخرى فى مصر لا يرى منها التبشير وإن كانت لا تخفى هدف هذا الاستشراق. ونذكر -على سبيل المثال لا الحصر- المؤسسات الآتية:

١- المعهد الشرقى بدير الدومينكان، بشارع مصنع الطرايش.

٢- ندوة الكتاب، بشارع سليمان باشا.

٣- دار السلام، بكنيسة دار السلام بمصر القديمة.

٤- المعهد الفرنسى بالمنيرة.

فكل هذه المؤسسات تخضع للاتجاه الكاثوليكي فى بحث الإسلام وتراثه وتخضع كذلك للنفوذ الفرنسى. والذين يعاونونها من المصريين هم أصحاب الثقافة الفرنسية ممن درسوا فى فرنسا الآداب الشرقية والثقافية الإسلامية، ويرعاها كأب روحى، المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية فى شؤون شمال أفريقية.

والذين يعاونون هذه المؤسسات من المصريين المثقفين فى فرنسا والدارسين للآداب الشرقية العربية أو للتراث الإسلامى الثقافى، يزداد أثرهم كلما اتصل شأنهم واتصلت مشورتهم بتوجيه الأدب، أو الثقافة فى مصر.

وتحت عنوان «إصدار سلسلة كتب عن تاريخ الدين الإسلامى» وتحت هذا العنوان كتبت جريدة الأخبار بتاريخ ١٥ أكتوبر من عام ١٩٥٧: عن وضع مشروع لإصدار سلسلة من الكتب: بعضها مترجم عن كتب المستشرقين والبعض الآخر يؤلفه كتاب مصريون عن تاريخ الدين الإسلامى، والأطوار التى مر بها فى عهد الاستعمار.

من غير شك هناك من له نفوذ بين الذين يعترمون إصدار هذه السلسلة، وهو من أنصار اتجاه التبشير والاستشراق ويروج لرسالة التبشير والاستشراق وهي رسالة الاستعمار دون أن يكون في نفسه أى أثر للشعور بخطورة هذا الاتجاه. فنحن سنرى فى الكلام عن الاستشراق. فى هذا البحث، ما يؤكد أن هدف المستشرقين فى كتبهم عامة وقاطبة هو التوهين للقيم الإسلامية، وتفتيت الشعوب العربية والإسلامية فى علاقاتها وصلات بعضها ببعض.

### أجهزة الدعوة والدراسات الإسلامية عليها إزاء التبشير والاستشراق،

أولاً: أن تساهم فى تنقية الحياة المصرية والعربية والإسلامية من رواسب هذين العاملين فتقعد عملاءهما من حياة التوجيه فى مصر فى جوانبها المتعددة وتكون ذات صلة وثيقة بوزارة التربية والتعليم فى الإشراف على حياة مصرية إسلامية أفضل فى مدارس المبشرين - وهى المدارس الدينية التابعة للفايكان فى طوابعها المختلفة، من فرنسية وإيطالية وأسبانية وألمانية وهلم جرا... وعلى صلة وثيقة بالصحافة ووزارة الثقافة والإرشاد القومى فى توجيه القلم والكتاب.

ثم عليها ثانياً: أن تكون مع المؤسسات التعليمية الإسلامية - كالأزهر - جهازاً قوياً يلقى به كتب المستشرقين، وبحوثهم فى مجلاتهم ومؤتمراتهم، فى الرد عليهم وشرح القيم الإسلامية. وتقوية أواصر القربى بين الشعوب العربية والإسلامية.

ثم عليها ثالثاً: أن تخرج للمسلمين عاجلاً فى مشارق الأرض ومغاربها.

١- «دائرة معارف إسلامية» يكتبها علماء مسلمون متمكنون فى فهم التراث الإسلامى من جميع بلاد العالم الإسلامى، وتكون مرجعاً للجوانب الثقافية العديدة.

٢- وأن تقرأ «ترجمة» فى كل لغة من اللغات التى تترجم إليها القرآن فعلا بعد مراجعتها مراجعة دقيقة، من علماء لهم سعة اطلاع فى التفسير والعلوم الإسلامية.

٣- وأن تخرج «قاموساً» للفقهاء الإسلامى. على نمط القواميس العلمية الحديثة فى الاجتماع والفلسفة وعلم النفس والاقتصاد... يكون مرجعاً سريعاً لمعرفة المصطلحات الفقهية ومدلولاتها فى المذاهب الفقهية المختلفة.

والفرق بينه وبين «دائرة المعارف الإسلامية» أن هذه لا تقتصر موضوعاتها على الفقه، بل تعالج جوانب التراث الإسلامى كلها كموسوعة علمية عصرية. أما القاموس فمهمته التعريف فى صور مجملة سريعة علمية منظمة بالفقه الإسلامى. والمسلم المعاصر -وبالأخص فى البلاد التى تعرف اللغة العربية- فى حاجة ماسة إلى مثل هذا القاموس.

٤- وأن تصدر «مجلة» تتبع بحوث الاستشراق التى يوردها الغرب الصليبي للشرق الإسلامى فى الوقت الحاضر، سواء فى كتبه عن التراث الإسلامى أو فى بحوث مجلاته العديدة التى تعنى بهذا التراث و يوضعية المسلمين وتوجيههم. وحركة الغرب فى توريده لهذه البحوث حركة ضخمة وسريعة، كما يرى من الدوريات التى تنشرها الجمعيات الاستشراقية فى مختلف بقاع العالم بلغات مختلفة، ومن الكتب التى تصدرها دور الطباعة الكبيرة فى عواصم أمريكا الشمالية وإنجلترا وفرنسا. والبيان المرافق فى هذا البحث يعطى صورة تقريبية، ولكنها صورة مزعجة للموجهين فى العالم الإسلامى.

وإذا ابتدأت أجهزة الدعوة والدراسات الإسلامية فى مواجهة «الاستشراق» مواجهة سافرة -وليس هناك حتى اليوم أية مؤسسة إسلامية فى العالم الإسلامى تقوم بهذا الدور -لأكثر من سبب، فستظهر له سبل أخرى يرى لزماً عليه أن يسلكها كى يصل إلى هدفه، وهو:

إعادة تقييم القيم الإسلامية فى نفوس المسلمين، وفى نفوس الرأى العام العربى.

### هدف التبشير:

سنرى فيما بعد أن الاستشراق لون من ألوان التبشير لأم نفسه مع ظروف الحياة. وإذا كان الاستشراق نوعاً من أنواع التبشير فتعرف هدف التبشير نفسه يعطينا بالتالى صورة عن هدف الاستشراق. ولن نحاول هنا أن نذكر شيئاً مستتجاً من قراءة أو دراسة لهذا الموضوع، وإنما سندع النصوص الثابتة لزعماء المبشرين تعبر عن هذا الهدف:

يقول لورانس براون Lawrance brown «إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية يمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً. أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير»<sup>(١)</sup>.

ويفصح القس «كالهون سيمون» عن رغبة التبشير القوية في تفريق المسلمين التي عبر عنها «براون» فيما قبل، بقوله: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود، وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوروبية. ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات. ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين في نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها»<sup>(٢)</sup>.

فوحدة المسلمين إذن في نظر التبشير يجب أن تفتت وأن توهن، ويجب أن يكون هدف التبشير هو التفرقة في توجيه المسلمين واتجاهاتهم. والتبشير، إذ يرى هدفه المباشر تفكيك المسلمين.. يرى بالتالي درء خطر وحدتهم على استعمار الشعوب الأوروبية وعلى استغلالها واستنزافها لثروات المسلمين. وفي هذا المعنى يقول لورانس براون: «الخطر الحقيقي كان في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته: إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي»<sup>(٣)</sup>.

وتقول مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية The Muskim World :

«إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف أسباب منها: أن الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل دائماً في ازدياد واتساع ثم إن الإسلام ليس ديناً فحسب، بل إن من أركانه الجهاد. ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً»<sup>(٤)</sup>.

وهناك بجانب تفتيت وحدة المسلمين -كهدف للمبشرين- هدف آخر هو التنفيس عن الصليبية وعن الانهزامات التي منى بها الصليبيون طوال قرنين من

(١) في كتابه (الإسلام والإرساليات) Islam and Missions.

(٢) كتاب (التبشير والاستعمار) ص ٣٢. (٣) في كتاب أصدره في عام ١٩٤٤.

(٤) عدد يونية سنة ١٩٣٠ تحت عنوان (الجغرافيا السياسية للعالم الإسلامي).

الزمان، أنفقوهما في محاولة الاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من أيدي المسلمين الهمجيين!! يقول اليسوعيون: «لم تكن ورثة الصليبيين؟ أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي ولنعيد في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة مملكة المسيح»<sup>(١)</sup>.

وبجانب هذا وذاك يرى المستشرق الألماني بيكر Becker: «أن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سدًا منيعًا في وجه انتشار النصرانية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها»<sup>(٢)</sup>.

وإذن هدف التبشير هو تمكين الأوربي المسيحي من البلاد الإسلامية، والأسباب التي ذكرها هؤلاء المبشرون هنا توصل جميعها إلى هذا الهدف، فسواء أكان التنفيس عن هزيمة الصليبية، أم الرغبة في الانتقام من الإسلام لأنه قام في القرون الوسطى في وجه المسيحية. أم توهين المسلمين وتمزيقهم في التوجيه والاتجاه - هو السبب المباشر في التبشير فإن نتيجته حتما، وعلى أى وضع هى ما ذكرنا من تمكين الأوربي المسيحي من المسلم الشرقي، ومن وطنه.

وهنا يبدو واضحًا أن التبشير مقدمة أساسية للاستعمار الأوربي، كما أنه سبب مباشرة لتوهين قوة المسلمين. «ولقد كانت الدول الأجنبية تبسط الحماية على مبشريها في بلاد الشرق، لأنها تعدهم حملة لتجارتها وآرائها ولثقافتها إلى تلك البلاد. بل لقد كانت ثمة ما هو أعظم من هذا عندها: لقد كان المبشرون يعلمون بطرق مختلفة كالتعليم مثلاً على تهيئة شخصيات شرقية لا تقاوم التساقط الأجنبي»<sup>(٣)</sup>.

#### تصوير المبشرين للإسلام والمسلمين:

وطريق التبشير لتوهين المسلمين لم يكن الدعوة إلى المسيحية والعمل على ارتداد المسلمين إلى النصرانية مباشرة. وإنما كانت طريقة تشويه الإسلام، ومحاولة إضعاف قيمه. ثم تصوير المسلمين في وضعهم الحالي بصورة مزرية بعيدة عن المستوى الحضارى في عصرنا الحاضر.

(١) التبشير والاستعمار ص ١١٧.

(٢، ٣) المصدر السابق: ٥٠.

(فالمونيسيور كولى) فى كتابه «البحث عن الدين الحق» يصور الإسلام على هذا النحو: «الإسلام فى القرن السابع للميلاد برز فى الشرق عدو جديد» ذلك هو الإسلام الذى أسس على القوة. وقام على أشد أنواع التعصب! لقد وضع محمد السيف فى أيدى الذين اتبعوه، وتساهل فى أقدمس قوانين الأخلاق!

ثم سمح لاتباعه بالفجور والسلب!!  
ووعد الذين يهلكون (يستشهدون فى سبيل الله) فى القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات (الجنة).

وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وأفريقيا وأسبانيا فريسة له، حتى إيطاليا هددها الخطر. وتناول الاجتياح نصف فرنسا.  
لقد أصيبت المدينة!!

ولكن هياج هؤلاء الأشياع (المسلمين) تناول فى الأكثر كلاب النصارى.  
ولكن انظر! ها هى النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً فى وجه سير الإسلام المتصر عند يونانيه (٧٥٢م) ثم تعمل الحروب الصليبية فى مدى قرنين تقريباً (١٠٩٩ - ١٢٥٤م) فى سبيل الدين، فتدجج أوربا بالسلاح، وتنحى النصرانية، وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الإنجيل على القرآن، وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق الساذجة»<sup>(١)</sup>

ويقول و. س. نلسون V.S. Nelson «وأخضع سيف الإسلام شعوب أفريقيا وآسيا شعباً بعد شعب»<sup>(٢)</sup>.

هذا فى وصف الإسلام ووصف مبادئه، أما محمد رسوله فيقول عنه أديسون Addison: «محمد لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن فى خياله منها إلا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذى جاء به للعرب»<sup>(٣)</sup>.

(١) ص ٢٢٠ طبع ١٩٢٨. وقد نال هذا الكتاب رضا البابا ليون الثالث عشر فى سنة ١٨٨٧ وعاش فى المدارس المسيحية فى الشرق والغرب إلى اليوم..

(٢) المصدر السابق: ص ٣٧.

(٣) التبشير والاستعمار ص ٣٦.

وفى وصف المسلمين يقول هنرى جيسب Henry Jesups المبشر الأمريكى:  
«المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها... إنهم لصوص، وقتلة  
ومتأخرون، وأن التبشير سيعمل على تمدينهم<sup>(١)</sup>!» كما يقول فى وصفهم جوليمين  
Guillimain فى كتابه «تاريخ فرنسا»: «إن محمداً، مؤسس دين المسلمين قد أمر  
أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق  
بين هؤلاء الوثنيين (المسلمين) وبين النصارى! إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم  
بالقوة وقالوا للناس: أسلمو أو موتوا، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم  
وإحسانهم.

ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لكنا مسلمين  
كالجزائريين والمراكشيين<sup>(٢)</sup>.

وهكذا: المسلمون متأخرون، ولصوص وقتلة!!

وهكذا: رسولهم سارق ومحرف فيما سرق!!

وهكذا: الإسلام دين السيف وليس دين الإيمان. هو دين مادى وليس ديناً  
روحياً لأنه يسمح لأتباعه بالفجور والسلب والقتل!! هذا ما يصور به التبشير  
الإسلام والمؤمنين به والتابعين لرسوله. على أنه لم يفت المبشرين كذلك -  
بجانب تشويه الإسلام والمسلمين بغية توهينهم وإضعاف وحدتهم أن يثيروا  
للغاية نفسها النزعات الشعوبية، مثل الفرعونية فى مصر، والفينيقية على ساحل  
فلسطين ولبنان، والآشورية فى العراق، والبربرية فى شمال أفريقيا  
وهكذا...

### سبل المبشرين إلى بلوغ غاياتهم:

وتنوعت أساليب التبشير فى توصيل هذا التصوير المشوه للإسلام ورسوله  
والمسلمين، إلى أجيال المسلمين جيلاً بعد جيل، منذ أن استقر فى الشرق العربى  
والإسلامى. فكانت:

- المدرسة - والكلية - والجامعة - الندوة - والرياضة.

(٢) الصفحات من: ٨ - ٨١ من كتابه.

(١) المصدر السابق فى نفس الصحيفة.

- المنزل - الكتاب .

- الصحافة - المخيم .

- المستشفى - دار النشر والطباعة .

وأن من أشهر المؤسسات التعليمية في الشرق العربي جامعة القديس يوسف في لبنان . وهي جامعة بابوية كاثوليكية «وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية» .

والجامعة الأمريكية ببيروت التي كانت من قبل تسمى «الكلية السورية الإنجيلية»، ثم كلية بيروت . وقد أنشئت في عام ١٨٦٥ ، وهي جامعة بروتستانتية . والكلية الأمريكية بالقاهرة التي أصبحت فيما بعد «الجامعة الأمريكية» وقد كان القصد من إنشائها: أن تكون قرية من المركز الإسلامي الكبير، وهو الجامع الأزهر .

وكلية روبرت في استنبول التي أصبحت تسمى: «بالجامعة الأمريكية» هناك .

والكلية الفرنسية في لاهور، وأسست في لاهور باعتبار أن هذا البلد يكاد يكون البلد الإسلامي الفريد في تكوينه في شبه القارة الهندية . ومن المنشور الذي أصدرته الجامعة الأمريكية في بيروت في عام ١٩٠٩ ، ردّاً على احتجاج الطلاب المسلمين لإجبارهم على الدخول يومياً إلى الكنيسة - يتضح من المادة الرابعة منه طابع هذه المؤسسة وأمثالها، ونص هذه المادة ما يلي :

«إن هذه كلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحي، هم اشتروا الأرض وهم أقاموا الأبنية، وهم أنشأوا المستشفى وجهازه ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء . وكل هذا قد فعله هؤلاء؛ ليوجدوا تعليماً يكون الإنجيل من مواده . فتعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ . . وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب أن يعرف سابقاً ماذا يطلب منه»<sup>(١)</sup> .

كما أعلن مجلس أمناء الكلية في هذه المناسبة: «أن الكلية لم تؤسس للتعليم العلماني، ولا لبث الأخلاق الحميدة، ولكن من أولى غاياتها أن تعلم الحقائق

(١) (التبشير والاستعمار) ص ١٠٨ .

الكبرى التى فى التوراة، وأن تكون مركزاً للنور المسيحى، وللتأثير المسيحى، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به»<sup>(١)</sup>.

وكما يستخدم المبشرون دور التعليم - بعد أن يموهوا بأسمائها على الرأى العام للتبشير، يستخدمون كذلك الوسائل الأخرى التى أشرنا إليها هنا سابقاً، للغاية نفسها، وبالأخص الصحافة. فكتاب «التبشير والاستعمار» يذكر نقلاً عن مصادر للتبشير ما يلى:

«يعلن المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص، للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا فى أى بلد إسلامى آخر، لقد ظهرت مقالات كثيرة فى عدد من الصحف المصرية، إما مأجورة فى أكثر الأحيان أو بلا أجر فى أحوال نادرة»<sup>(٢)</sup>.

والمبشرون يسيرون فى تحقيق هدفهم وفق خطط معينة مدروسة يجتمعون من أجلها بين الحين والحين، ولذلك ترى أنهم عقدوا عدة مؤتمرات لهذه الغاية.

- مؤتمر القاهرة فى عام ١٩٠٦ .

- ومؤتمر بيروت فى عام ١٩١١ .

- ومؤتمر القدس فى عام ١٩٢٤ .

- ومؤتمر القدس فى عام ١٩٣٥ .

وفى كل مؤتمر من هذه المؤتمرات تدرس المشروعات وتوضح الخطط ثم يجرى تنفيذها فى سرية تامة وبهمة دائبة.

### نشأة الاستشراق:

يرجع تاريخ الاستشراق فى بعض البلدان الأوربية إلى القرن الثالث عشر الميلادى. وربما كانت هناك محاولات فردية قبل ذلك، غير أن المصادر التى بين أيدينا لا تلقى الضوء الكافى على الموضوع، وإن أشارت إلى بعض المستشرقين كأفراد، ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الاستشراق انتشر فى أوربا بصفة جدية

(١) المصدر السابق: ص ١٠٩ .

(٢) المصدر السابق: ص ٢٠٧ .

بعد فترة «عهد الإصلاح الديني» كما يشهد بذلك التاريخ في هولندا والدانمارك وغيرهما<sup>(١)</sup>.

### أسباب الاستشراق:

والسبب الرئيسي المباشر الذى دعا الأوربيين إلى الاستشراق هو سبب دينى فى الدرجة الأولى: فقد تركت الحرب الصليبية فى نفوس الأوربيين ما تركت من آثار مرة عميقة. وجاءت حركة الإصلاح الدينى المسيحى فشعر المسيحيون: بروتستانت وكاثوليك. بحاجات ضاغطة لإعادة النظر فى شروح كتبهم الدينية، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التى تمخضت عنها حركة الإصلاح ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية. وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية؛ لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى وخاصة ما كان منها متعلقًا بالجانب اللغوى، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانًا ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية<sup>(٢)</sup>.

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون فى التبشير بدينهم بين المسلمين، فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامى، والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار فمكّن لهم، واعتمد عليهم فى بسط نفوذه فى الشرق. وأقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن «المسيحية» ستكون قاعدة الاستعمار الغربى فى الشرق. وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب فى أن الاستشراق قام فى أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار.

وبجانب هذا وذاك. كانت هناك أسباب أخرى فرعية لنشأة الاستشراق: أسباب تجارية، وأسباب سياسية دبلوماسية، وأسباب شخصية مزاجية عند بعض الناس الذين تهيأ لهم الفراغ والمال، واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة

(١) راجع الصفحات ٣، ٥٤، ٨٦، ٢٥٧، ٣٦٨ من المجلد الثالث الصادر فى عام ١٩٢٣ من مجلة (المجتمع العلمى العربى) والصفحات ٦٤، ١٧٠، ٢٠٤، ٢٦٤، ٤١٦، ٤٤٢ من المجلد الرابع الصادر فى عام ١٩٢٤ من المجلة نفسها.

(٢) راجع المصدر السابق، وكتاب «المشرقون» لنجيب العفيفى والمجلة الإسلامية بالإنجليزية Al-Islam ص ١١٢ من عدد ١٥ فبراير سنة ١٩٥٨.

فى السفر، أو فى الاطلاع على ثقافات العالم القديم، وبدو أن فريقتا من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية، أو دخلوه هارين عندما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء فى العلوم الأخرى. أو دخلوه تخلصاً من مسؤولياتهم الدينية المباشرة فى مجتمعاتهم المسيحية. أقبل هؤلاء على الاستشراق تبرة لذمتهم الدينية أمام إخوانهم فى الدين، وتغطية لعجزهم الفكرى، وأخيراً بحثاً عن لقمة العيش إذ إن التنافس فى هذا المجال أقل منه فى غيره من أبواب الرزق<sup>(١)</sup>.

وهناك ملاحظة لبعض الباحثين تتعلق بالمستشرقين اليهود خاصة. فالظاهر أن هؤلاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية- وهى محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام: بادعاء أن اليهودية فى نظرهم هى مصدر الإسلام الأول، ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية: فكرة أولاً ثم دولة ثانياً. هذه وجهة نظر ربما لا تجد مرجعاً مكتوباً يؤيدها غير أن الظروف العامة، والظواهر المترادفة فى كتابات هؤلاء المستشرقين تعزز وجهة النظر هذه، وتخلع عليها بعض خصائص الاستنتاج العلمى.

وقد تركزت أهداف الاستشراق -مع تنوعها- أخيراً فى خلق التخاذل الروحى، وإيجاد الشعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية.

«ومن المبشرين نفر يشتغلون بالأداب العربية والعلوم الإسلامية أو يستخدمون غيرهم فى سبيل ذلك، ثم يرمون كلهم بما يكتبون إلى أن يوازنوا بين الآداب العربية والآداب الأجنبية، أو بين العلوم الإسلامية والعلوم الغربية (التي يعدونها نصرانية؛ لأن أمم الغرب تدين بالنصرانية) ليخرجوا دائماً بتفضيل الآداب الغربية على الآداب العربية والإسلامية، وبالتالي إلى إبراز نواحي النشاط الثقافى فى

(١) راجع الصفحات ١٩ وما بعدها، ٢٨ وما بعدها، ٤٠ وما بعدها، من كتاب (المستشرقون) وراجع المجلدين الثالث والرابع من مجلة المجمع العلمى العربى لعامى ١٩٢٣-١٩٢٤ وراجع مجلة الإسلام بالانجليزية Al-Islam فى أعدادها الصادرة فى فبراير وأبريل ومارس ومايو من عام ١٩٥٨.

الغرب وتفضيلها على أمثالها فى تاريخ العرب والإسلام. وما غايتهم من ذلك إلا تخاذل روى وشعور بالنقص فى نفوس الشرقيين وحملهم من هذا الطريق على الرضا بالخضوع للمدنية المادية الغربية<sup>(١)</sup>.

من مظاهر المستشرقين:

حاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل: ألفوا الكتب: وألقوا المحاضرات والدروس. و«بشروا» بالمسيحية بين المسلمين، وجمعوا الأموال وأنشأوا الجمعيات وعقدوا المؤتمرات، وأصدروا الصحف، وسلكوا كل مسلك ظنوه محققاً لأهدافهم.

وهذه نماذج من صور نشاطهم المتعدد الجوانب.

● فى عام ١٧٨٧ أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين، وألحقوا بها أخرى فى عام ١٨٢٠، وأصدروا «المجلة الآسيوية».

● وفى لندن تآلفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية فى عام ١٨٢٣، وقبل أن يكون الملك ولى أمرها. وأصدرت «مجلة الجمعية الآسيوية الملكية».

● وفى عام ١٨٤٢ أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم «الجمعية الشرقية الأمريكية»، وفى العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم كذلك فعل المستشرقون فى كل من النمسا وإيطاليا وروسيا.

● ومن المجلات التى أصدرها المستشرقون الأمريكيون فى هذا القرن «مجلة جمعية الدراسات الشرقية»، وكانت تصدر فى مدينة جامبير Cambier بولاية أوهايو Ohio ولها فروع فى لندن وباريس ولييزج، وتورنتو فى كندا، ولا يعرف إن كانت تصدر الآن أم لا، وطابعها العام على كل حال طابع الاستشراق السياسى وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية، وخاصة فى باب الكتب.

● ويصدر المستشرقون الأمريكيون فى الوقت الحاضر «مجلة شؤون الشرق الأوسط»، وكذلك «مجلة الشرق الأوسط»: وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسى كذلك.

(١) التبشير والاستعمار: ص ١٧.

وأخطر المجالات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة «العالم الإسلامي» The Muslim World أنشأها صموئيل زويمر Zweimer في سنة ١٩١١. وتصدر الآن من هارتيفورد Hartford بأمريكا ورئيس تحريرها كنت كراج K. Cragg وطابع هذه المجلة تبشيري سافر.

وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة «العالم الإسلامي» في روحها واتجاهها العدائي التبشيري واسمها أيضاً: Le monde Musulman

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار «دائرة المعارف الإسلامية» بعدة لغات، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة. وقد بدأوا في الوقت الحاضر في إصدار طبعة جديدة تظهر في أجزاء. ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة، وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم، على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين.

واستطاع المستشرقون أن يتسللوا إلى المجمع اللغوي في مصر. والمجمع العلمي في دمشق، والمجمع العلمي في بغداد.

ويعتمد المستشرقون -فيما يعتمدون- على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم، وأول مؤتمر عقده كان في سنة ١٧٨٣، ومازالت مؤتمراتهم تتكرر حتى اليوم.

وفي العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب بما كان يقوم به الملوك والأمراء في الماضي: من الإغداق على المستشرقين وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق.

واتجه المستشرقون والمبشرون بمعاونة الاستعمار إلى مجال التربية، محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين؛ حتى يشبوا «مستغربين» في حياتهم وتفكيرهم، وحتى تخف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية (انظر ص ١١٤ من مجلة «الإسلام» Al-Islam الصادرة في ١٦ مارس سنة ١٩٥٨).

## المستشرقون المعاصرون

● ابراهام كاش:

عرف من نشاطه أنه مؤلف كتاب (اليهودية في الإسلام).

● س. س. أدامز C. C. Adams:

إنجليزى باشر التدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الزمن. ومؤلف كتاب (الإسلام والتجديد فى مصر) المترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور.

● إدوارد ابر:

أستاذ فى الجامعة الكاثوليكية فى واشنطن.

● إدوارد فرمان E. Ferman:

من ألد أعداء الإسلام وأكثر المستشرقين طعنًا فيه. له كتاب بالإنجليزية عن (تاريخ المسلمين وفتوحاتهم).

● إدوين كالفرلى E. Calverley:

أمريكى متعصب. رئيس تحرير مجلة «العالم الإسلامى» The Muslim World الأمريكية لفترة من الزمن، ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية، ومن الذين باشروا التدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة عددة مرات، معروف باتجاهات تبشيرية سافرة».

● أريك شرودر:

مؤلف كتاب «أمة محمد» الذى صدر بالإنجليزية سنة ١٩٥٥.

● ج. س. آرثر Arthur:

مؤلف «العناصر الصوفية فى محمد» الذى صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٥٤.

● آرثر جيفرى Arthur Jeffry

معروف بتعصبه السافر ضد الإسلام والمسلمين . ومن كتبه :

- (مصادر تاريخ القرآن)، صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٣٧ .

- (الكلمات الدخيلة فى القرآن) بالإنجليزية .

- (القرآن كتاب دينى) صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٥٢ .

● ت. و. أرنولد T. W. Arnold

إنجليزى اشترك فى تحرير (دائرة المعارف الإسلامية) ومن كتبه :

- «الدعوة إلى الإسلام»، ترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور .

- «الخلافة»، صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٢٤ .

- «تراث الإسلام» صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٣١ .

● أرنولد توينبى Arnold Toynbee

إنجليزى له أخطاء فيما كتب عن الإسلام والرسول فى كتابه العالمى «دراسة فى التاريخ». وخطؤه هنا شديد الخطورة؛ لأن الكتاب يعتبر أحسن دراسة موضوعية للتاريخ فى العصر الحديث فى نظر كثير من الناس، وخاصة الشرقيين والعرب منهم بوجه أخص .

● أ. أ. إلدر Elder

قسيس يساهم فى تحرير «مجلة العالم الإسلامى» التى تصدر بالإنجليزية فى أمريكا .

● الفرد كارلتون A. :karlton

أمريكى كان مديراً لكلية حلب، ثم عين نائباً لرئيس جمعية البعثات الأمريكية التبشيرية فى الخارج .

● ج. أ. أ. إيزنبرج J. Eisenberg

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية» .

- و. إيفانو W. Ivanow
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- ف. بابنجر F. Babinger
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- أ. باجليارو A. Bagliaro
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- ج. بارت J. Barth
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- ر. باريت R. Paret
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- ر. باست R. Passet
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- أ. بشوب Bishop
- قسيس يساهم فى تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية.
- براون Browne
- إنجليزى كان عضواً بالمجمع العلمى العربى بدمشق.
- ل. ل. براون L. L. Browne
- قسيس أمريكى يساهم فى تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية.
- س. س. برج
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- هـ. هـ. برو H. H. Brau
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- أ. ل. بروفنسال E. L. Provensal
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ر. بل R. Bell

إنجليزي كثير الخطأ في حديثه عن الإسلام والقرآن. ومن كتبه:

- «أصول الإسلام في بيئته المسيحية»، صدر في سنة ١٩٢٦.

- «القرآن» صدر في سنة ١٩٣٧.

- «مقدمة القرآن» صدر في ١٩٥٤.

● ر. بلاشير R. Blacher

فرنسي ومؤلف كتاب «مقدمة القرآن» صدر في ١٩٤٧.

● م. بلسنر M. plessner

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ف. بول F. Buhl

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ت. ف. بوتشني T. V. Buchner

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ج. بيدرسن J. Podersen

دانيمركي ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية»، وكان عضواً بالمجمع العلمي

العربي في دمشق، والآن أستاذ في جامعة كوبنهاجن.

● ك. بيكنز:

قسيس يساهم في تحرير مجلة «العالم الإسلامي» الأمريكية.

● أ. س. بيفريدج A. S. Beveridge

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● س. ه. بيكر S. H. Becker

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

- أ. س. تريتون A. S. Tritton  
من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- ر. تشودى R. Chudi  
من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- توماس جوينبول Th. Juynboll  
من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- تيودرى نولدكه T. Noeldeke  
ألمانى معروف بعدائه للإسلام، له كتاب عن القرآن، وكتاب آخر عن التاريخ الإسلامى ظهر بالإنجليزية فى «مسلسلة تاريخ العالم».
- جايتانى Gaetani  
إيطالى، وكان عضواً بالمجمع العلمى فى دمشق.
- أ. جروهمان A. Grohman  
من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- جريفنى Griffni  
إيطالى، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.
- جوتهيل Gottheil  
كولومبى، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.
- ل. جوثير L. Gauthier  
فرنسى، متعصب دينياً وجنسياً، وكثير التشهير بالإسلام والحقد عليه، من أتباع رينان فى فكرة تمييز الآريين فى السيادة على غيرهم (انظر ص ٢٥ وما بعدها من العدد ١ من المجلد ٩، يناير سنة ١٩٢٥) من «مجلة جمعية الدراسات الشرقية».
- جودفروى ديمومبنتز Gaudefroy Demombynes  
من محررى «دائرة المعارف الإسلامية» له كتاب عن «الحج» فيه كثير من الخلط والتشويه، (انظر ص ١٣ من العدد ١٦، من المجلد ٩، يناير سنة ١٩٢٥ من «مجلة جمعية الدراسات الشرقية»).

- و. جوركمان W. Bjorkman
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- جويدى Guidi
- إيطالى، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.
- ب. جويل B. Goel
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- جى دوسو Guy Dussaud
- فرنسى، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.
- جيمس هنرى بريستيد J. H. Brestead
- أمريكى، مدير معهد الشرق الأوسط بجامعة شيكاغو فى أمريكا.
- ح. ل. دلافيدا G. L. Della Vida
- من كبار محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- أ. هـ. دوجلاس A. H. Douglas
- من محررى مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية.
- د. م. دونالدسون D. M. Donaldson
- قسيس أمريكى، يساهم فى تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية ومنه كتبه:
- «دين الشيعة» صدر فى عام ١٩٣٧.
- «دراسات فى علم الأخلاق الإسلامية»، صدر عام ١٩٥٣.
- دى بور De Boer
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية»، وله كتب عن الفلسفة الإسلامية ترجم بعضها إلى العربية.
- ديتريش Dietch
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

- أ. دينيه E. Dinet
- فرنسى، شديد التعصب ضد الإسلام، له كتاب بالفرنسية «الشرق والغرب»،
- ر. روبرتز R. Roberts
- إنجليزى، ومؤلف «القوانين الاجتماعية فى القرآن»، وله دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة فى القوانين الاجتماعية صدر فى عام ١٩٢٥.
- هـ. ريكندروف H. Rekendorf
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية» وله بعض الكتب.
- ك. ف. زيترستين K. V. Zettersteen
- من كبار محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- و. سبايز O. Spies
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- هـ. سبير H. Speyer
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- م. سترك M. Strech
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- ستيفن رونسمان
- مؤلف «تاريخ الحروب الصليبية» صدر الجزء الثالث منه عام ١٩٥٤.
- م. سميث M. Smith
- من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- سنوك هورج رونجه Snouk Horgronje
- هولندى ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية». حارب الإسلام والمسلمين بكتبه، وكان مستشاراً لحكومته فى شؤون أندونيسيا، له كتاب «الإسلام».
- ر. شتروتمان R. Strotman
- ألمانى الأصل، ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ب. شريك B. Schrieke

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ج شليفير J. Shlaifer

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● صوميل مرسر S. Mercer

أمريكى، وكان رئيسًا لجمعية الدراسات الشرقية الأمريكية، التي تأسست فى مدينة جامبير بولاية أوهايو، وكان لها فروع فى أوروبا وكندا. كما كان رئيسا لتحرير مجلة هذه الجمعية.

● سى. فان اريندونك C. Van Arendonk

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● هـ. فوخس H. Fuchs

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ك. فوللرز K. Vollers

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ف. فوكا V. Vocca

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● أ. فيشر A. Fisher

ألمانى الأصل، ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● كارل بروكلمان Karl Brockelmann

ألمانى الأصل، ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية»، صاحب أكبر موسوعة فى تاريخ الآداب العربية باللغة الألمانية، ومن مؤلفاته الهامة «تاريخ الشعوب الإسلامية» المترجم من الألمانية إلى الإنجليزية، كان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق، (انظر الإشارة إلى بعض أخطائه التاريخية والعلمية فى مجلة الإسلام Al-Islam التى تصدر بالإنجليزية فى كراتشى - باكستان ص ١٤١ من عدد أول مايو سنة ١٩٥٨).

- ر. أ. كرن R. A. Kern  
من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- أ. كور A. Cour  
من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- كوستى ولسون K. Willson  
يساهم فى تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية.
- ج. هـ. كرامرز J. H. Kramers  
هولندى من محررى «دائرة المعارف الإسلامية» كثير الطعن فى الإسلام  
وصاحب ميول تبشيرية سافرة.
- لونجورث دايمز Longworth Dames  
من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- ت. لويشى T. Luwichi  
من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».
- ب. لويس Bernard Lewis  
إنجليزى، له مقالات كثيرة وبعض الكتب منها: «العرب فى التاريخ» صدر فى  
عام ١٩٥٠، والآن أستاذ بجامعة لندن.
- ر. ليفى R. Levy  
متخصص فى الدراسات الاجتماعية فى الإسلام، ومن كتبه:  
- «مقدمة لدراسة علم الاجتماع الإسلامى» صدر فى عام ١٩٣٣.  
- «الهيكل الاجتماعى للإسلام»، ظهر فى عام ١٩٥٧، ويصدر فى أجزاء  
متتالية.
- ج. مارسايز G. Marsais  
من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● هـ. ماسى H. Massey

فرنسى ويعرف من مؤلفاته كتاب «الإسلام» صدر فى عام ١٩٣٠.

● ل. أ. مرل

أمريكى يساهم فى تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية.

● ت. منتزل

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● سى. موريسون C. Morrison

أمريكى، ومؤلف كتاب «التوتر السياسى والاجتماعى والدينى فى الشرق الأوسط» عام ١٩٥٤.

● ف. مينورسكى V. Minorski

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية» والآن أستاذ بجامعة كامبردج.

● نالينو Nalino

إيطالى، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق. معروف بكتابه ضد الإسلام.

● هـ. سى. نيرج H. S. Nyberg

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● م. نيتس

كان محرراً فى مجلة العالم الإسلامى (الأمريكية).

● و. هارنتر Hartner

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● هارتمان Hartman

ألمانى الأصل، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق، ويعرف من مؤلفاته (الإسلام والقومية) ظهر فى عام ١٩٤٨.

● هاورث دن H. Dunne

من أصل ألماني، ويعيش في أمريكا الآن، يسمى نفسه جمال الدين ويعرف من مؤلفاته (مقدمة لدراسة التربية في مصر) بالإنجليزية.

● هاورد ريد H. Reed

أمريكي، نشأ في بيئة تبشيرية في تركيا، وتخصص في التاريخ الإسلامي والشؤون التركية، كان أستاذاً ببعض الجامعات الأمريكية، ثم ممثلاً لمؤسسة فورد في بيروت، له بعض المقالات، ولا تعرف له كتب تذكر.

● م. هوتسما H. Hautsma

هولندي، وكان عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● هورفيتس J. Horovits

ألماني الأصل، من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● أ. هونجمان A. Hongman

من محرري (دائرة المعارف الإسلامية).

● أ. ج. هويسمان A. J. Huisman

من محرري (دائرة المعارف الإسلامية).

● ب- هلر B.Heller

من محرري (دائرة المعارف الإسلامية).

● و. هيفننج W. Heffening

من محرري (دائرة المعارف الإسلامية).

● هيورت Huart

من المستشرقين المشهورين بالتخبط في عرض الإسلام، ومن محرري (دائرة المعارف الإسلامية).

● م. وات M. WATT

إنجليزي له بعض المقالات ومن كتبه:

- (الجبر والاختيار فى الإسلام). صدر فى عام ١٩٤٨ .

- (محمد فى مكة). صدر فى عام ١٩٥٣ .

● ج. ووكر J. Walker

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية)، ومؤلف كتاب: (ملاحم من التوراة فى القرآن)، صدر فى عام ١٩٣٦ .

● ب. ويتك P. Wittek

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

● ت. هـ. وير T. H. Weir

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

● ك. يانج C. Young

أمريكى، مارس التبشير فى إيران، كان أستاذا فى قسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون فى أمريكا، والآن مدير هذا القسم، ومستشار وزارة الخارجية الأمريكية فى شؤون الشرق الأوسط، وخاصة فى شؤون إيران، له مقالات متفرقة ولا يعرف له كتب تذكر.

● يوليوس ولهاوزن J. Welhausen

ألمانى الأصل (١٨٤٤-١٩١٩) اشتهر بتعصبه ضد الإسلام وتشويه مبادئه، يعرف من كتبه (تاريخ اليهود).



### المتطرفون من المستشرقين

الذين تعد كتاباتهم حجة بين الغربيين، أو لأرائهم شبه حجية بين المسلمين.

● أ. ج. أربري A. J. Arberry

إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية» والآن أستاذ بجامعة كمبودج، ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا في الدراسات الإسلامية واللغوية في إنجلترا، ومن كتبه:

- (الإسلام اليوم) صدر في عام ١٩٤٣.

- (مقدمة لتاريخ التصوف) صدر في عام ١٩٤٧.

- (التصوف) صدر في عام ١٩٥٠.

- (ترجمة القرآن) صدر في عام ١٩٥٠.

● الفرد جيوم A. Geom

إنجليزي معاصر، اشتهر بالتعصب ضد الإسلام، حاضر في جامعات إنجلترا وأمريكا «وتغلب على كتاباته وآرائه الروح التبشيرية». ومن كتبه «الإسلام» ومن المؤسف أنه تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية في بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية.

● بارون كارادي Baron Carrade VauX

فرنسي متعصب جدا ضد الإسلام والمسلمين، ساهم بتصيب بارز في تحرير «دائرة المعارف الإسلامية».

● هـ. أ. رجب H. A. R. gibb

أكبر مستشرق إنجلترا المعاصرين. كان عضوا بالمجمع اللغوي في مصر والآن أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة هارفرد الأمريكية، من كبار محرري وناشري «دائرة المعارف الإسلامية» له كتابات كثيرة فيما عمق وخطورة، وهذا هو سر خطورته، ومن كتبه:

- «طريق الإسلام» ألفه بالاشتراك مع آخرين، وترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور.

- «الاتجاهات الحديثة في الإسلام»:

صدر في عام ١٩٤٧ وأعيد طبعة وترجم إلى العربية تحت العنوان المذكور.

- «المذهب المحمدي» صدر عام ١٩٤٧ وأعيد طبعه.

- «الإسلام والمجتمع الغربي» يصدر في أجزاء، وقد اشترك معه آخرون في التأليف، وله مقالات أخرى متفرقة.

● جولدزيهير Goldziher

مجري، عرف بعدائه للإسلام، ويخطورة كتاباته عنه، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية» كتب عن القرآن والحديث، من كتبه: «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي» المترجم إلى العربية تحت العنوان السابق.

● جون ما ينارد J. Maynard

أمريكي متعصب، كان يساهم في تحرير «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» الأمريكية، وخاصة باب الكتب الجديدة التي لها صلة بالإسلام وبالشرق على العموم. (انظر -مثلا- ص ٢٢ وما بعدها من العدد ٢، من المجلد ٨، أبريل سنة ١٩٢٤ من المجلة المذكورة).

● س. م. زويمر S. M. Zweimer

مستشرق مبشر، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام، مؤسس مجلة «العالم الإسلامي» الأمريكية التبشيرية، ومؤلف كتاب «الإسلام تحد لعقيدة» صدر في سنة ١٩٠٨، وناشر كتاب (الإسلام) وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة ١٩١١ بلكنو في الهند، وتقديرا لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفا باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين.

● عزيز عطية سوريال

مصري مسيحي، كان أستاذا بجامعة الإسكندرية، والآن يدرس بإحدى جامعات أمريكا، شديد الحقد على الإسلام والمسلمين، وكثير التحريف للتعالم

الإسلامية، يستعين على الحقد والتحريف بكونه بعيدا عن مصر والمسلمين، له بعض الكتب عن الحروب الصليبية.

● غ. فون جرونباوم G. VON Grunbaum

من أصل ألماني يهودي، مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعاتها، وكان أستاذا بجامعة شيكاغو، من ألد أعداء الإسلام، وفي جميع كتاباته تخطيط واعتداء على القيم الإسلامية والمسلمين، كثير الكتابة، وله معجبون من المستشرقين، ومن كتبه:

- (إسلام العصور الوسطى) صدر في عام ١٩٤٦.
- (الأعياد المحمدية) صدر في عام ١٩٥١.
- (محاولات في شرح الإسلام المعاصر) صدر في عام ١٩٤٧.
- (دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية) صدر في عام ١٩٥٤.
- (الإسلام) مجموعة من المقالات المتفرقة، صدر في عام ١٩٥٧.
- (الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية)، صدر في عام ١٩٥٥.

● فيليب حتى P.H. Hitti

لبناني مسيحي تأمر، كان أستاذا بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا ثم رئيسا لهذا القسم، وهو الآن بالمعاش. من ألد أعداء الإسلام، ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكا، وهو مستشار غير رسمي لوزارة الخارجية الأمريكية في شؤون الشرق الأوسط، يحاول دائما أن ينتقص دور الإسلام في بناء الثقافة الإنسانية، ويكره أن ينسب للمسلمين أى فضل؛ فقد كتب -على سبيل المثال- في (دائرة المعارف الأمريكية) طبع سنة ١٩٤٨ تحت عنوان (الأدب العربي) ص ١٢٩ يقول: «ولم تبدأ أمارات الحياة الأدبية الجديدة بالظهور إلا في القسم الأخير من القرن التاسع عشر، وكان الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان، تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين». ومحاولات «حتى» انتقاص فضل الإسلام والمسلمين ليست فقط قاصرة على العصر الحديث، ولكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الإسلامى كما هو موضح فى كتبه نذكر منها:

- (تاريخ العرب) ظهر بالإنجليزية وأعيد طبعه عدة مرات، وهو ملء بالطعن في الإسلام والسخرية من نبيه، وكله حقد وسم وكراهية، انظر مثلا مجلة «الإسلام» بالإنجليزية Al-Islam التي تصدر في كراتشي-باكستان ص ١٣٨ من عدد أبريل سنة ١٩٥٨. ص ١٤٦ من عدد أول مايو سنة ١٩٥٨.

- (تاريخ سوريا).

- (أصل الدرود وديانتهم) صدر في سنة ١٩٢٨.

### • أ.ج. فينسينك

عدو لدود للإسلام ونبيه، كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى، ثم أخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطيب حسين الهوارى مؤلف كتاب (المستشرقون والإسلام) صدر في سنة ١٩٣٦. وحدث ذلك بعد أن نشر فينسينك رأيه في القرآن والرسول: مدعيا أن الرسول ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التى سبقته، انظر (المستشرقون والإسلام) ص ٧١٠ وما بعدها هذا والمعروف لفينسينك، كتاب تحت عنوان (عقيدة الإسلام) صدر فى سنة ١٩٣٢.

### • كينيت كراج

أمريكى شديد التعصب ضد الإسلام، قام بالتدريس فى الجامعة الأمريكية، بالقاهرة لفترة من الوقت، والآن رئيس تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية التبشيرية، ورئيس قسم اللاهوت المسيحى فى هارتفورد «ومعهد» مبشرين، ومن كتبه (دعوى المثلثة)، صدر فى عام ١٩٥٦.

### • لوى ماسينيون L. Massignon

أكبر مستشرقى فرنسا المعاصرين، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية فى شؤون شمال أفريقيا، والراعى الروحى للجمعيات التبشيرية الفرنسية فى مصر. زار العالم الإسلامى أكثر من مرة، وخدم بالجيش الفرنسى خمس سنوات فى الحرب العالمية الأولى، وكان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى، والمجمع العلمى العربى فى دمشق، متخصص فى الفلسفة والتصوف الإسلامى، ومن كتبه: (الحلاج الصوفى الشهيد فى الإسلام)، صدر فى سنة ١٩٢٢ وله كتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصوف، وهو من كبار محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

• د. ب. ماكدونالد D. B. Macdonald

أمريكي من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة. من كبار محرري «دائرة المعارف الإسلامية» ومن كتبه:  
- (تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام) صدر سنة ١٩٠٣.

- (الموقف الديني والحياة في الإسلام) صدر سنة ١٩٠٨.

• مايلز جرين M. Green

سكرتير تحرير مجلة «الشرق الأوسط».

• مجيد قدوري

مسيحي عراقي، رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة جون هوبكنز في واشنطن، ومدير معهد الشرق الأوسط للأبحاث والتربية بواشنطن متعصب حقود على الإسلام وأبنائه، ومن كتبه المشحونة بالطعون والأخطاء: «الحرب والسلام في الإسلام» صدر في سنة ١٩٥٥، له مقالات أخرى.

• د. س. مرجوليوث D. S. Margoliouth

إنجليزي متعصب ضد الإسلام، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية». كان عضوا بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي في دمشق. ومن كتبه:  
- (التطورات المبكرة في الإسلام) صدر في سنة ١٩١٣.  
- (محمد ومطلع الإسلام)، صدر في سنة ١٩٠٥.  
- (الجامعة الإسلامية)، صدر في سنة ١٩١٢.

• ر. ل. نيكولسون R. L. Nicholson

كان من أكبر مستشرقى إنجلترا المعاصرين، ومن محرري (دائرة المعارف) تخصص في التصوف الإسلامي والفلسفة، وكان عضوا بالمجمع اللغوي المصري. وهو من المنكرين على الإسلام أنه دين روحى، ويصفه بالمادية وعدم السمو الإنساني، ومن كتبه:

- (متصوفو الإسلام). صدر في سنة ١٩١٠.
- (التاريخ الأدبي للعرب). صدر في سنة ١٩٢٠.

#### • هارفلي هول

رئيس تحرير «مجلة الشرق الأوسط» الأمريكية، وخطورته أنه يوجه سياسة مجلة من أهم المجلات المعنية بشؤون الشرق الأوسط السياسية والثقافية في العصر الحديث.

#### • هنري لا منس اليسوعي H.Lammens

فرنسي ١٨٧٢-١٩٣٧: من محرري «دائرة المعارف» شديد التعصب ضد الإسلام والحقد عليه، مفرط في عدائه وافتراءاته لدرجة أقلقته بعض المستشرقين أنفسهم!! (انظر ص ١٥ - ١٦ من ١، من المجلد ٦ يناير سنة ١٩٢٥ من «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» الأمريكية) ومن كتبه:

- (الإسلام):

- (الطائف).

#### • يوسف شاخت J. Shacht

ألماني متعصب ضد الإسلام والمسلمين، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي وأصوله، من محرري «دائرة المعارف الإسلامية»، ودائرة معارف العلوم الاجتماعية»، وأشهر كتبه: «أصول الفقه الإسلامي».



## بعض الكتب المتطرفة

المشوهة للإسلام، والشائعة الانتشار أو لها شبه حجية عند المسلمين  
موسوعات:

● «دائرة المعارف الإسلامية» The Encyclopaedia Of Islam صدرت بعدة لغات حية، ويعاد طبعتها فى الوقت الحاضر. وقد ظهر بعض أجزاء الطبعة الجديدة بالفعل.

● «موجز دائرة المعارف الإسلامية»

Shorter Encyclopaedia Of Islam

● «دائرة معارف الدين والأخلاق»

Encyclopaedia Of Religion And Ethnics

(المقالات المتعلقة بموضوعات إسلامية).

● «دائرة معارف العلوم الاجتماعية»

Encyclopaedia Of Social Sciences

(الموضوعات المتصلة بالإسلام والعرب).

● «دراسة فى التاريخ»

(القسم المتصلة بالإسلام ورسوله) من تأليف أرنولد توينبى A.Toynbee

المكتب:

● «حياة محمد» من تأليف سير وليام موير W.Muir

● «الإسلام» من تأليف الفرد جيوم A.Geom

● «دين الشيعة» من تأليف ر.م. دونالدسون D. M. Donaldson

● «تاريخ شارل الكبير» من تأليف القس تريين Bishop Turpin

- «الإسلام» ظهر بالفرنسية من تأليف هنرى لامنس H.Lammens .
- «الإسلام» (تحد لعقيدة) ظهر بالإنجليزية من تأليف المبشر زويمير S.m. Zweimer
- «دعوة المثذنة» ظهر بالإنجليزية من تأليف كينيت كراج K. Crag
- «الإسلام اليوم» بالإنجليزية من تأليف أ. ح. أبرى A. J. Arbrty
- الترجمة الإنجليزية من وضع أ. ج. أبرى.
- «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى» ظهر بالألمانية وترجم إلى العربية من تأليف جولد زيهر Goldziher .
- «تاريخ العرب» ظهر بالإنجليزية والعربية، وطبع عدة طبعات، من تأليف فيليب حتى.
- «اليهودية فى الإسلام» ظهر بالإنجليزية من تأليف إبراهيم كاش.
- «عقيدة الإسلام» ظهر بالإنجليزية من تأليف أ. ج. فيسينك.

Wensink

- «الحلاج الصوفى الشهيد فى الإسلام» ظهر بالفرنسية من تأليف لوى ماسينيون L. Massingon .
- «الحرب والسلام فى الإسلام» ظهر بالإنجليزية من تأليف مجيدى قدورى .
- «تطور علم الكلام والفقہ والنظرية الدستورية فى الإسلام» .
- ظهر بالإنجليزية من تأليف د. ب. ماكدونالد O. B. Macdonald .
- «الاتجاهات الحديثة فى الإسلام» ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية، من تأليف هـ. أ. ر. جب Gibb .
- «طريق الإسلام» ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية من تأليف جماعة من المستشرقين اشترى فى تأليفه ونشره . أ. ر. جب .
- «التصوف فى الإسلام» ظهر بالإنجليزية، وترجم إلى العربية من تأليف ر. أ. نيكلسون Nicholson .

- «مصادر تاريخ القرآن» بالإنجليزية من تأليف آرثر جيفرى Arthur Jeffry .
- «أصول الإسلام فى بيئته المسيحية» بالإنجليزية من تأليف ر. بل R. BELL .
- «مقدمة القرآن» بالإنجليزية من تأليف ر. بل .
- «التطورات المبكرة فى الإسلام» بالإنجليزية من تأليف د. س. مرجوليوث D. S. Margoliouth .

- «محمد ومطلع الإسلام» بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
- «الإسلام» بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
- «الجامعة الإسلامية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
- «قنطرة إلى الإسلام» ظهر بالإنجليزية من تأليف أريك بيتمان .
- «إسلام العصور الوسطى» ظهر بالإنجليزية من تأليف ج. فون جرونباوم G. von Grunebaum .

- «الإسلام» مجموعة مقالات متفرقة ظهرت بالإنجليزية للمؤلف السابق .
- «الأعياد المحمدية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
- «الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
- «دراسات فى تاريخ الثقافة الإسلامية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
- «محاولات . . فى شرح الإسلام المعاصر» مجموعة مقالات ظهرت بالإنجليزية لنفس المؤلف .

#### الدوريات،

- «مجلة العالم الإسلامى» The Muslim World مجلة تبشيرية تصدر بالإنجليزية فى هارتسورد بأمريكا، وتوزع فى جميع أنحاء العالم .
- «مجلة العالم الإسلامى» Le Monde Musalman مجلة تبشيرية تصدر بالفرنسية فى فرنسا. وتوزع فى جميع أنحاء العالم .

- «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» أنشأها المستشرقون الأمريكيون في جامبير Gombier بولاية أوهايو Ohio وكان لها بعض فروع في أوروبا وكندا.
- «مجلة شؤون الشرق الأوسط» تصدر بالإنجليزية في أمريكا، ويحررها عدد من المستشرقين المعادين للعرب والمسلمين، واهتمامها موجه في الدرجة الأولى إلى الجوانب السياسية..
- «مجلة الشرق الأوسط» مجلة أمريكية سياسية تتعرض للإسلام من وقت لآخر في بعض المقالات..



## كتاب «مجد الإسلام» (\*) لجاستون فييت

«هذا (الكلام الفارغ) هو الحديد والنار اللذان يحارينا بهما أعداؤنا . . والحديد والنار لا يقابلان إلا الحديد والنار، وفي ميدان العلم الحديد والنار هما العمل والعمل الطويل . . .»

هذا واحد من عشرات الكتب التي تنشر هنا كل شهر . .

كتب كثيرة يكتبها الأعداء والخصوم .

مهما كان رأينا فيها، فإنها تمثل خطة وجهدا وسنوات من العمر .

إنها أسلحة يحاربوننا بها، أسلحة تنفعهم في المعركة، لا مجرد فقايع يلعب بها الهواء ثم تتلاشى . . .

إننا قد نسخر منها، ولكنها في النهاية تؤذينا . . إنها سم يستقر في الجسد .

وماذا نفعل نحن لتتقى هذا السم؟

هل نتجاهله ونقول: كلام فارغ!

هل نكتفى بمقال نشره في صفحتنا نظمئن به أنفسنا على أن كل شيء بخير!!

إن هذه الكتب تنشر في الدنيا كلها على نطاق واسع . .

والرد عليها لا يكون إلا في الدنيا كلها وعلى نطاق أوسع . .

وذلك يتطلب عملا شاقا . .

وهذا بالضبط هو واجبنا اليوم: العمل الشاق . .

إن الدنيا لا تحترم كتابا يكتبه صاحبه وكأنه يتسلى: كلمتان من هنا وكلمتان من

هنا، وعنوان . . وهذا هو الكتاب . .

---

(\*) دراسة للأستاذ الدكتور حسين مؤنس أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة. نشرت بالملحق الأدبي لمريدة الأهرام (أهرام الجمعة) وتتضمن عرضا وتحليلا ومناقشة للفكر الاستشراقي من واقع إنتاجه العلمي.

ولكن الدنيا كلها تحترم أى مؤلف جاد .  
مهما كان موقف القارئ منك ، فهو يشعر أنه مرغم على احترامك . .  
وليس فى الدنيا شىء أذى للاحترام من العمل الجاد .  
إننى لا أعرض هذا الكتاب لأسلى القارئ . أو لأهون عليه أمر خصومنا :  
إننى أعرضه لأهيب بأهل العلم : قوموا واعملوا . إذا كنتم تريدون أن يزيد  
احترامنا فى قلوب الناس .

### • المؤلف: لم يفهمنا ولم تفهمه:

هذه محاولة لإنجاز تاريخنا الطويل فى نيف و ٣٥٠ صفحة ، حاول (جاستون  
فييت) أن يقدم (بانوراما) لتاريخ الإسلام .  
والطريقة التى سار عليها طريقة معروفة اتبعها غيره فى تلخيص تواريخ غيرنا  
من الأمم ، وهى عرض التاريخ عن طريق صفحات مختارة من أقوال المؤرخين  
والكتاب المعاصرين لكل فترة من فترات هذا التاريخ إذا أمكن .  
ومهمة المؤلف فى أمثال هذه الكتب هى تحديد الاتجاه الذى سيسير عليه  
الكتاب ، ثم فى اختيار الصفحات بناء على ذلك الاتجاه ، وأخيرا الربط بينها  
بعبارة مختصرة قدر الإمكان .  
وهنا خطورة هذا الطراز من التأليف : لأن المؤلف مهما اجتهد فى تحرى  
الإنصاف فى الاختيار لا يمكن أن يتخلص من شخصيته وميوله ، ولا يمكن بالتالى  
أن يقول : إن الكتاب ليس من تأليفه وتوجيهه ، أو إنه لا يمثل رأيه .  
فالكتاب ليس كتابه من ناحية ، لأنه مجموع مختارات .  
والكتاب كتابه من ناحية أخرى لأنه هو الذى اختار ورتب ربط المتفرقات .  
وهو منقود بسبب الاختيار .  
وهو منقود مرة أخرى بسبب الربط والتوجيه .  
وقل أن ألف رجل كتابا على هذا المنهج ثم سلم من النقد الشديد .

والمؤلف هنا فرنسى، والفرنسى، مهما بلغ علمه، ومهما قيل عن تجرده  
لا يمكن أن ترضى نفسه بإنصاف العرب والمسلمين بحال!  
وهو رجل معروف لنا: كان مديرا لمتحف الفن الإسلامى سنوات طويلة.  
وقد كتب تاريخا عاما لمصر الإسلامية مرتين.  
وترجم كتاب الأيام لطفه حسين، ويوميات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم  
ومجموعة قصص (بنت الشيطان) لمحمود تيمور.  
وكتابه الذى ألفه مع (لوى هو تكور) عن مساجد القاهرة معروف وهو الذى  
نشر جزءا كبيرا من خطط المقريزى.  
وقبل أن يصدر كتابه الذى نعرضه اليوم نشر قطعة كبيرة من بدائع الزهور  
لابن إياس بعنوان لطيف: (يوميات رجل من الأوساط من أهل القاهرة).  
وهو إذن رجل كان من المنتظر أن يعرفنا جيدا.  
وكنا نحسب أننا نعرفه جيدا.

#### • هذا الحقد القديم المتجدد:

ولكن كتابه هذا يدل على أننا كنا مخطئين فى الأمرين معا:  
فلا نحن عرفناه؛ ولا هو عرفنا كما ينبغى أن يعرف الناس الناس.. وفى  
عرضه المجهد لتاريخنا فاته أهم الحقائق التى سيرت هذا التاريخ:  
استحوذت على اهتمامه حوادث السياسة والوقائع والحروب، فمضى يتابع قيام  
الدولة وسقوطها والحروب ووقائعها.  
وفاته أن للعرب والمسلمين تاريخا آخر غير هذه السلسلة الطويلة من وقائع  
السياسة والميادين.  
فاته تاريخ المجتمع الإسلامى: كيف تكون وكيف قام، وتاريخ اللغة العربية  
كيف سارت من الخليج إلى المحيط، وتاريخ الحضارة الإسلامية، وهو فى الواقع  
كتاب تاريخ أمتنا جميعا..

فليس بين فصول كتابه فصل واحد عن انتشار الإسلام وكيف كان؟!!

وليس هناك سطر واحد عن لغة العرب وكيف أصبحت لغة الملايين؟! ولا ذكر في كتابه لنواحي حضارتنا كل ما هناك هو أنه يقف في نهاية الكتاب. فيقول: إن حضارتنا ركزت بعد القرن الخامس عشر، لأنها لم تقم على أساس حضارة اليونان!

وهذا أعجب ما سمعناه من مؤرخ!!

وهذا أغرب ما يمكن أن يقوله عالم له هذه الخبرة بتاريخ المسلمين!! إن صاحبنا يجرى في تيار هذا الخيال الفرنسي الذي يعود إلى حضارة الإغريق بكل شيء. والمؤرخون في الدنيا كلها قد نزعوا عن ذلك الوهم الذي ساد الفكر الأوربي إلى الحرب العالمية الأولى..

لأن حضارة أوربا اليوم ليست استمرارا لحضارة الإغريق، ولو كانت استمرارا لها لكننا نقول اليوم بهذا الشطط الذي قاله أفلاطون في (الجمهورية) داعيا إلى جعل الحكم في أيدي طائفة مختارة من الناس يتصاهرون فيما بينهم، ويلدون أطفالهم بصورة جماعية، ثم تربيههم الدولة محافظة على سلامة الجنس الممتاز!! وماذا أقول؟ ألا يعرف المؤلف أن أحدا من الشعوب لم يدرس أرسطو كما درسناه، وأن قوما لم يهتموا ببطليموس كما اهتمنا به!؟

ولكنى أعود فأقول: إن المؤلف فرنسي، والفرنسي لا يفهم العربي أبدا.

هناك ستار من الحقد عند أصحابنا أبناء فرنسا يحول بينهم وبين أن يفهمونا! حقد قديم يرجع إلى الحروب الصليبية، والفرنسيون يعتقدون أنها كانت حربا بين فرنسا والإسلام...

وحقد جديد بدأ سنة ١٨٣٠ عندما اعتدى الفرنسيون على الجزائر..

حقد على عرب المغرب، لأنهم لم يستسلموا لفرنسا ويقدموا بلادهم هدية لها!

وحقد على عرب المشرق لأنهم لم يتركوا إخوانهم لها تفعل بهم ما تريد..

وحقد لأن فرنسا لا تعرف كيف تخرج من المشكلة التي أوقعت نفسها فيها في المغرب.. راحت الجمهورية الرابعة وستروح الجمهورية الخامسة هلك الألف وضاعت الملايين!

حقد نحن ضحيته ونحن ناره التي تتقد!!  
حقد يفسد كل ما يكتبه الفرنسيون عنا. فلنر إذن كيف أفسد الحقد هذا  
الكتاب:

### • التشويه يبدأ من الصفحة الأولى:

يبدأ ذلك من الفصل الأول عن محمد صلوات الله عليه .  
وهو كغيره من المستشرقين الفرنسيين يردد نفس الأفكار التي حالت بين جمهور  
قرائهم وفهم صاحب الرسالة عليه السلام .  
من هذه الأساطير مثلاً: أن بنى أمية كانوا قبل الإسلام أغنى وأعز عن بنى  
هاشم .

مع أنهم يعرفون أن أعلا ذروة بلغها قرشى قبل محمد ﷺ كانت لعبد المطلب  
وهو ابن هاشم وجد النبي المباشر .

وأن بنى عبد شمس بن عبد الدار كانوا أفقر وأضعف بكثير من بنى هاشم  
ابن عبد مناف .

وهو يعتمد فى حوادث السيرة على كتاب البدء والتاريخ للمقدسى، والمقدسى  
من أهل القرن العاشر .

زهو يصور لقرائه أن القرآن الكريم كتاب غير منزل .

ونحن نطالبه بأن يعتقد ما نعتقد، فليس من الضروري ألا يكتب عن الإسلام  
غير مسلم، ولكن إيمان المسلمين بنبيهم وألوهية رسالته، هو الأساس الذى يقوم  
عليه الكيان الإسلامى كله، لا بد أن يقول المؤرخ لقرائه ذلك، ولا بد أن يعينهم  
على إدراك قوة هذا الإيمان، حتى يضعوا أيديهم على سر القوة فى تاريخ  
المسلمين .

أما إلقاء الشك والسخرية فيتترك القارئ وهو لا يدري كيف حقق المسلمون ذلك  
كله .

وعلى هذا فإن محمدا الذى يصوره أولئك المستشرقون ليس محمدا رسول الله  
الذى نحن على دينه: إنه رجل من صنع خيالهم وتصورهم .

وإذا كان محمد ﷺ هو عماد تاريخ الإسلام كله، فإن تاريخ الإسلام الذي يصوره أولئك المستشرقون ليس تاريخ الإسلام.

ولكن (فييت) يختم هذا الفصل عن السيرة بعبارة للطبرى فى صفة الرسول ﷺ: صفة الجسمانية، أما صفاته الروحية وشمائله الخلقية فيوجزها فى عبارة لا تخرج منها إلا بأنه كان سياسياً ماهراً.

### • شتان بين إعجاب وإعجاب:

ويعر المؤلف مسرعاً بأبى بكر وعمر دون أن يخطر بباله أن يتفكر لحظة فى ملكات هذين العبقريين. الفتوح الإسلامية فى نظره غزوات، ومعاهدات الصلح لا هدف لها إلا الجزية والخراج!!

ثم ينتقل إلى بنى أمية...

والفرنسيون معجبون ببنى أمية...

وسر الإعجاب أن جدهم أبا سفيان كان عدو الرسول ﷺ واقراً إذا أردت ما كتبه عميدهم (هنرى لامانس) عن معاوية ويزيد وعبدالمك وبقيّة بنى مروان، ونحن معجبون ببنى أمية.

ولكن شتان بين الإعجابين:

فهم معجبون بهم عن طريق الحقد، ونحن معجبون بهم عن طريق الحب:

يعجبنا حلم معاوية ورجولته وسياسته وتوحيده أمر المسلمين..

وتعجبنا عروبة عبدالمك بن مروان وإيمانه بها الذى خطأ بسير التعريب خطوات حاسمة إلى الامام.

ويعجبنا إيمان الوليد وسليمان وما تم على يديهما من فتوح..

وتعجبنا من بنى أمية الفحولة والأصالة والشهامة والعروبة..

ولكن ماذا يعجب الفرنسي من بنى أمية؟

يعجبهم أبو سفيان لأنه حارب رسول الله ﷺ.

ويعجبهم معاوية لأنه انتزع الخلافة من يد على.

ويعجبهم يزيد لأنه قتل الحسين وأمر جنده بمهاجمة مكة .  
ويعجبهم تمثيل الحجاج بأهل العراق، ويعجبهم خبث المغيرة بن شعبة .  
وهذه هي معظم الصفحات المختارة عن بنى أمية!

### • وهذا تاريخ بنى العباس:

وَيُنْتَقَلُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ، فَمَاذَا يَخْتَارُ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ؟  
بناء بغداد (عن ابن واضح يعقوبى).  
وهو يختار هذه القطعة ليقول: إن الدولة الإسلامية خرجت من يد العرب،  
وهو يصر على هذه الفكرة إصرارا غريبا، كأنها وجدت من نفسه هوى ..  
ثم ينقل عن أبي يوسف القاضي نص رسالة ابن المقفع في معاملة أهل الذمة،  
ينقلها لكي يؤكد ما يقوله غيره من المستشرقين عن سوء حالهم في ظلال الإسلام .  
وهذه الرسالة مكذوبة، وقد أثبتنا في أبحاثنا أنها من مخترعات طوائف الفرس  
الحاقدة على العرب والإسلام.

ثم ينقل عن ابن خلدون فقرة قصيرة عن نشوء مذاهب التشريع الإسلامى .  
وأى مؤرخ يعرف ما هو التاريخ، ينبغي أن يقف طويلا أمام عبقریات مالك  
وأبى حنيفة والشافعى وابن حنبل، تلك التى وضعت تشريعات تروغ النفس .  
عاشت منها وفيها جماعات المسلمين جيلا بعد جيل .

وأين العبقرية التشريعية اليونانية من عبقریات مشرعى الإسلام؟!  
ويخصص المؤلف ضعف هذا الحجم لوصية عبد الحميد الكاتب للكتاب ..  
وعندما يصل إلى هارون الرشيد لا يورد عنه إلا قطعة من يوميات (أجینار)،  
مؤرخ شارلمان تصف سفارة الرشيد إليه .. .

وهذه السفارة على ما هو معروف أسطورة من الأساطير .. .  
وما كان هارون الرشيد ليعنى بشارلمان هذا أو يرسل إليه سفارة وهدية .. .  
ولكن المؤرخ الغربى يتمسك بها . .

لأنها تقول: إن الرشيد أرسل مفاتيح بيت المقدس للملك الفرنسى.

وهذا هو بيت القصيد!

وليس فى تقاليدنا هذا الشئ الذى يعرف بمفاتيح المدن.

ولا يمكن أن نتصور سببا معقولا يجعل الرشيد يفكر فى هذا..

ولكن ما حيلتنا؟ إنهم يشعرون بالسعادة إذ يرددون ذلك!!

وقطعة أخرى يذكرها عن الرشيد: نكبة البرامكة برواية المسعودى..

وتلى ذلك حروب الأمين والمأمون.. إنه يخصص لها ٦ صفحات بينما

خصص لرسول الله ﷺ ١٤ صفحة.

### • الفضل كله للفرس والترک:

وفى أثناء ذلك يقف طويلا ليتحدث عن انفصال الأندلس.. ولكى يتكلم عما

يسميه استقلال المغرب، وهو لا يسميه المغرب، وإنما باسم يولع به الفرنسيون،

وهو «لا بريرى» أى بلاد البربر.

وهذه التسمية فى ذاتها دسيسة: دسيسة تافهة، لأن أهل المغرب عرب، وهم

يؤكدون للفرنسيين أنهم عرب.

ولكن المستعمر الفرنسى خلال القرن الماضى تصور أنه يستطيع أن يفصل المغرب

عن الوطن العربى إذا أوهم أهله أنهم ليسوا عربا.

وقد فشلت الدسيسة، ولكن الوهم لازال يعمر أذهان الفرنسيين.

وهم سعداء جدا - فيما يبدو - بذلك الوهم!!

وبدلا من أن يقف المؤلف طويلا عند قيام الدولة الأموية بالأندلس، وبدل قراءه

على عبقرية عبدالرحمن الداخل.. لا يذكره إلا فى سطور، ثم يسرع للتحدث

عن بنى رستم الخارجين فى تاهرت (برواية الخارجى أبى زكريا) وعن الأدارسة..

بل عن بنى مدرار أصحاب سجلماسة.. ثم يقول بكل سعادة: «وهكذا سيكون

الشمال الأفريقى كتلة ترفض الطاعة للخلافة الشرقية!»!

ثم يعود إلى المشرق ليتحدث عن المأمون:

وماذا يقول عن المأمون؟

إن دولته دولة فارسية لا أثر للعرب فيها!

وما دام قد انتهى إلى أن المأمون غير عربي، فهو لا يجد غضاضة في أن يتحدث عن نهضة العلوم أيام المأمون.. فهي نهضة غير عربية!

ويتبع ذلك بفقرة ينقلها عن ميخائيل الصوري يتحدث فيها عن مدرسة حران. ثم يقف طويلاً عند المعتزلة، ومن عجب أن ينقل كلامه عنهم عن المسعودي دون غيره من الأصول.

ويتنقل للحديث على المعتصم والترك، ويتخير بالذات فقرات من رسالة الجاحظ في فضلهم..

ولم ترض نفسه قبل ذلك بإيراد فقرة -ولو نصف هذه- عن فضل العرب لأن العرب بالنسبة له ولأمثاله سم ينبغي أن يتحاشاه.

#### • القرامطة طلاب عدالة وإصلاح؛

وهو يختار من تاريخ الأعصر العباسية ما يحس في نفسه أنه يسمي إلى العرب والإسلام..

يروى قصة مصرع الخليفة المتوكل (برواية الطبري)..

ويقص تفاصيل فتنة الزنج في جنوب العراق (برواية التويري).

ويطيل الحديث عن القرامطة برواية الطبري.

ويأتي بنص خطاب أحمد القرمطي إلى الخليفة المقتدر. وهو خطاب يصورهم في صورة طلاب عدالة وإصلاح!

ويتلذذ إذ يورد فقرة للمسعودي تصف القرامطة للحجر الأسود.

#### • صورة تقبض النفس؛

وهكذا تتوالى الصفحات والمختارات.

كلها يرمى إلى تصويرنا كما يود أن يرانا العدو اللدود.

فهو يتحدث مثلاً عن قيام دولة الفاطميين في المغرب، فلا يجد ما يختاره إلا قطعة طويلة لابن الأثير، تصور ثورة أبي يزيد بن مخلد عليهم، وهى ثورة كادت تقضى على دولتهم، وأبو يزيد هذا مشعوذ محتال.

وينتقل إلى الأندلس ليتحدث عن عبدالرحمن الناصر، فلا يجد من الصفحات الجميلة التى كتبها المؤرخون عن ذلك الخليفة المجيد -الذى كان أعظم حكام أوروبا فى عصره -إلا وثيقة إعلان نفسه خليفة.

ويعود مسرعاً إلى الشرق ليتحدث عن الدولة المنشقة، تلك التى انتهت بالقضاء على وحدة الدولة العباسية: الصفاريين، والسلمانيين، والظاهرين، والبويهيين، ويطيل الوقوف عندهم وينقل الصفحات بعد الصفحات.

لماذا؟

لأنه يرى أنها دولة فارسية!

وللفرنسيين من زمن بعيد حب للفرس، كما حاولوا فى المغرب فصل المغاربة عن العرب، فكذلك فى أقصى المشرق، حاولوا -ولازالوا يحاولون- الإيقاع بين العرب وبين شعب فارس، وصاحبنا هنا يكاد يرد كل شىء فى تاريخنا إلى الفرس، وهو إذ يطيل الحديث عن رجل مثل يعقوب بن الليث الصفار، يعود بين الحين والحين ليلقى نظرات سوداء على خلافة بغداد. . . المقتدر والراضى والمتقى. إلخ والصفحة المشرقة الوحيدة التى يأتى بها هى التى تتحدث عن التجارة، وكيف كان تجار المسلمين يقطعون الأرض بمتاجرهم «من خر غانة إلى غانة» كما قال الحريرى على لسان صاحبه أبى زيد السروجى.

وقد اعتمد فيما نقله على ابن خرداذبة وناصرى خسرو والبيرونى والإدرسى وابن جبير.

ويعود ليحدث عن الفاطميين.

يقف طويلاً عند خطاب الأمان الذى أذاعه جوهر الصقلى عند دخوله القاهرة ثم يحكى قصة اختطاف القاهرة برواية المقرئى.

وهو معجب بالفاطميين، لأن مذهبهم لم يلق قبولا من جماعة المسلمين.

إنه ينقل الصفحات بعد الصفحات عن ناصرى خسرو .  
ويقف طويلا عند الخليفة الحاكم .

وينتقل إلى السلاجقة فيمر بهم تمهيدا للحملة الصليبية الأولى .  
ويختتم الفصل بعبارة لوليم الصورى يقول فيها: إن الصليبيين عندما دخلوا بيت  
المقدس قتلوا من أهله ٦٥ ألفاً .

### • واجبنا اليوم، العمل حتى الموت:

ويطول بنا الحديث لو مضينا نستعرض المقتطفات حتى آخر الكتاب .  
إنه لا يقف به إلا عند سليمان القانونى .

وعنوان كتابه «مجد الإسلام، من محمد إلى فرنسوا الأول» . . !  
ولا ندرى ما العلاقة هنا بين رسول الله ﷺ وهذا الملك الفرنسى الذى يذكره  
التاريخ بهزيمته المشينة عند مارينافوا سنة ١٥٥١ ،  
ولكنها بدعة جروا عليها هناك . . فالمؤرخ البلجيكى (هنرى بيرين) له كتاب  
مشهور عنوانه محمد وشرلمان . .

وفى العام الماضى نشر راهب كندى كتابا عنوانه محمد والقديس فرنسوا . .  
نحن لا يرضينا أن يذكر اسم نبينا على هذه الصورة لمجرد الحصول على أسماء  
جذابة لمؤلفات .

والمهم، هنا أن (جاستون فييت) يقول فى آخر كتابه: إنه يقف بالكتاب عند  
أسماء باهرة كأسماء (البابا ليو العاشر ومارتين لوثر وهنرى الثامن وفرنسوا الأول  
وشارلمان وكالفين وسليمان القانونى) وهم فى رأيه أعلام التاريخ العالمى فى القرن  
السادس عشر!!

وهذا القرن يعتبر فى رأيه نهاية مجد المسلمين وأول مجد الأوربيين .  
فكل اسم ذكره يعنى فى حسابه نهضة شعب من شعوب أوربا، أو قيام حركة  
إصلاحية كبرى فيها، وسليمان القانونى هو فى حسابه آخر العظماء من ملوك  
الإسلام .

وأن العالم الإسلامى اتجه بعده إلى الانحدار السريع . .

وهنا ينبغي أن نقف ونفكر . .

لأننا كأمة ناهضة وكناس يأخذون الحياة مأخذ الجد . . لا يليق بنا إذا رأينا شيئا لا يعجبنا أن نلقيه بعيدا ونقول: كلام فارغ.

صحيح أن فيه كذبا وتضليلا: صحيح أنه صادر عن حقد عميق، ولكنه ليس كلاما فارغا، ولا يخدمنا فى شىء أن نلقيه بعيدا ثم نجر اللحاف وننام . .

لأن هذا «الكلام الفارغ» هو الحديد والنار اللذان يحاربتنا بهما أعداؤنا. والحديد والنار لا يقابلان إلا بالحديد والنار.

وفى ميدان العلم، الحديد والنار هما العمل، والعمل الطويل. إذا كان هذا الذى كتبه فييت «كلاما فارغا». فلنشمر عن سواعدنا ولنكتب نحن الشىء المميان».

هل تذكر العبارة المضحكة التى قالها مراد بك عندما سمع أن الفرنج نزلوا بساحل الإسكندرية؟ قال: هؤلاء مثل حب الفستق، للكسر والأكل!

ثم تبين بعد ذلك أنهم ليسوا فستقا ولا بندقا، وإنما هم حرب ودمار . .

لقد ندم مراد بك على كلمته وهو يجمع ملابسه ليجرى هاربا إلى الصعيد بعد معركة الأهرام . .

أما نحن فليس أمامنا وقت للندم . .

ليس أمامنا إلا أن نعمل . . ونعمل حتى الموت.

لنتصور الجهد الذى بذله هذا الرجل الفرنسى وهو فى سن السبعين:

جهد فى الجمع والترتيب والاختيار . .

وهو فى الواقع جهد شاق، ولا يعرف الشوق إلا من يعانیه . .

لنعمل إذن . . ففى أعناقنا مسؤولية عالم كبير . .

إن بعضنا يلعب ويتصور أنه يعمل: ينظر فى الصفحات التى كتبها الطبرى

أو ابن سعد مثلا عن عمر بن الخطاب ثم يكتب سلسلة كتب عن عمر بن الخطاب .

لو كان هذا هو العمل لما حمل الهم أحد . .

والهموم على قدر الرجال . .

ورحم الله أبا الطيب حين قال: «على قدر أهل العزم تأتي العزائم».

## المستشرقون الناطقون بالإنجليزية

ومدى اقترابهم من حقيقة الإسلام والقومية العربية

بقلم: أ. ل. طياوي (\*)

(١)

ليس هناك من جهود أكاديمية فى عالم الدراسات الإنسانية تكاد تكون أسوأ حظاً فى مواردنا وسوابقها من الدراسات الإسلامية والعربية فى الغرب. وليس من غرض هذا المقال أن يعطى تفصيلات فى هذا التاريخ المؤسف، ويكفى لذلك فى هذا المقال أن نلقى نظرة مجملة على هذا التاريخ فى معالمة السريعة لتكون هذه النظرة مقدمة بين يدي دراستنا فى موضوعها المحدد<sup>(١)</sup>.

ومنذ البداية تبدو جذور العداوة اليهودية المسيحية للإسلام فى آيات القرآن فما كان أسرع أهل الكتاب لتكذيب محمد بل لتحديه فى مهمته كحامل للرسالة الإلهية ومن هنا بدأت سلسلة المجادلات التى استمرت وإن تباينت الرايات المرفوعة فى معارك الجدل حتى أيامنا. وقد امتد نطاق هذا العداء نتيجة للأعمال السياسية والعسكرية التى قامت بها الدولة الإسلامية فى عهد الرسول وخلفائه، فتعدى حدود الجزيرة العربية ليضع الإمبراطورية البيزنطية ومن بعدها المسيحية العربية.

ولم يكن الإسلام المنتصر يتجاهل المجادلين البيزنطيين، أو يهمل الرد على محاولاتهم التخريبية المسمومة. ولكن ما لبث أن فاق البيزنطيين فى تنمية العداء والتحامل خلفاؤهم فى أوربا الوسيطة وذلك عن طريق بث المعلومات المشوهة أو الزائفة وهكذا كان الإسلام بالنسبة لهم من «عمل الشيطان»، وكان القرآن نسيجاً من السخافات «وكان محمد» دعياً «كذاباً» و«محتالاً» و«عدواً للمسيح»!! أما المسلمون فهم ليسوا سوى نوع من المتوحشين لا يكاد يحظى بميزة إنسانية!!

(\*) دراسة للأستاذ طياوي نشرت بعدد يوليو سنة ١٩٦٣ مجلة THE MUSLIM WORLD وترجمها فتحى عثمان.

(١) إن دراسات الاستشراق فى المجالات الإسلامية والعربية هى بالطبع بناء دولى اشترك فيه المستشرقون الغربيون من إنجليز وفرنسيين وألمان وإيطاليين وغيرهم. والدراسة التى يتناولها المقال يمكن أن تطبق على معظم هؤلاء، وإنما حددت بالمستشرقين الناطقين بالإنجليزية لمراعاة مقتضيات البحث. وحتى فى هذا النطاق المحدد تناولت الدراسة فحسب الباحثين الذين لهم آراء منشورة تتعلق بموضوع الدراسة.

ومن العسير أن نحدد إلى أى مدى أثرت هذه الدعاية فى أوروبا الغربية حتى استجابت لنداء الحروب الصليبية. ولكن من أبرز مظاهر الفشل فى هذا الصراع الطويل بين المسيحية والإسلام- وإن كانت أقلها وضوحاً- أنه لم يستطع أن يجتذب المسيحية رغم احتكاكها الطويل بالإسلام عن قرب إلى تلطيف حدة تحاملها أو تصحيح الصورة السائدة عن عدوها على الأقل. ومضى قرنان من النزاع وقد تزايد العداء عند كلا الجانبين. ولم تتناقص حدة التحامل أو الجهل بحقيقة الأمور. ووقع القصاص من عدوان الحروب الصليبية فى عالم المسيحية. فبدلاً من محاولة الاستيلاء على إقليم من مقدسات المسيحية. وبدلاً من شن الحرب على العرب، بدأ اتجاه جديد ينال حظاً من التأييد. وهكذا أخذ فرنسيس الأسيزى Francis of Ossisi يبحث من خلال حماسه التبشيري كيف يحول «الكفار» إلى جانب الإنجيل. وعن طريق ريموند لل Raymond lull الذى كانت تعتمد فى عقله الدوافع نفسها أدخل تعليم العربية فى المعاهد المسيحية فى الدراسات العليا<sup>(١)</sup>. ولكن الهدف من وراء هذه الدراسة مازال تخريبياً عدائياً إلى حد كبير، إنها تستهدف أن تعرف المزيد عن الإسلام لتكون أكثر تهيؤاً لعرض «نقائضه»! ولقد كان صاحب القداسة بطرس Peter the Venerable راعياً لأول ترجمة لاتينية للقرآن كما كان هو نفسه صاحب حملة جدلية طائشة ضد الإسلام<sup>(٢)</sup>. ولم يلحظ تقدم ذو قيمة نحو إدراك أفضل حتى وقت قريب نسبياً فقد اكتنف المحاولات الأولى الجادة جو النزاع من جديد. وأدت عودة المسيحيين للأندلس كما أدى توغل العثمانيين فى قلب أوروبا إلى استثارة نيران البغضاء والتحامل، وهكذا تقهقرت إمكانيات التصور الصحيح والتعبير المنصف. وظل العالم القديم منقسماً بين «دار الإسلام» و«دار الحرب»، ولا يلتقى القسمان إلا فى ساحة القتال أو صفحات الجدل البغيضة!

(١) قرر مجمع فيينا سنة ١٣١٢م إدخال العربية مع لغات أخرى فى جامعات باريس: بولونيا، أكسفورد، سلنكا، Roman Curia انظر H. Rashdall: The Universities of Eueapein in the middle ages Oxford 1895 II. pp. 1, 30 81-2, 96.

وهو يقرر ص ٣٠ (أن الغرض من هذا القرار كان تبشيراً خالصاً وكنسياً لا علمياً).

(٢) على سبيل المثال: Dmile Dermenghem: la vie de Mahomet Paris 1929, 136-R. W. Southern, Western Views of Islam in the Middle ages, Hgruord Ilsuis press. 1692, 37.

وأخيراً التقى الفريقان . . .

وإلى أن تم هذا اللقاء كان قد حدث تطوران عظيمان من تطورات التاريخ أولهما: أنه قد نمت في أوروبا الغربية قوى معينة بلغت ذروتها في النهضة الأوربية Renaissance في القرن الخامس عشر الميلادي، ودعت إلى ترجمة العلم الإغريقي نقلا عن علماء العرب في الطب والرياضيات والفلسفة . . إلخ، على أن هذا الاتصال العلمى على اتصاله وعمقه لم يبد أنه أثر في الصورة العقيدية أو الإلهية أو حتى الصورة التاريخية للإسلام في النظرة المسيحية.

وتمثل التطور الثانى فيما أصاب وحدة العالم المسيحى تحت لواء الكنيسة من تمزق نتيجة للقوى الجديدة: سياسية واقتصادية ودينية، وقد تمخض عنها الإصلاح الدينى وظهور الدول القومية التى اشتعلت بينها غالباً نيران المنافسة وشغفت بالمشروعات الطموحة للتوسع فيما وراء البحار. وكانت الدول القومية الحديثة فى رقعتهها الصغيرة نسبياً قد اتجهت إلى تحقيق مصالحها ولو على حساب مصالح دول مسيحية أخرى أو العالم المسيحى فى مجموعه، وهكذا كانت البداية العملية لصلات دبلوماسية وتجارية مع البلدان الإسلامية على مدى أقرب مما تحقق من قبل.

وعلى الرغم من أن الجدل الدينى كان لا يزال فى مرارته ونشاطه كعهده من قبل، وعلى الرغم من أن الهدف التبشيري كان يضاعف من سيطرته على مخيلة سلطات الكنيسة، فقد بدأت بواعث مدنية جديدة تأخذ حظها من الاعتبار على قدم المساواة إن لم تكن أكثر ولربما كان أوضح مثال لهذا التعبير بالنسبة لهذه الدراسة هو تقرير المراجع الأكاديمية المسؤولة فى جامعة كمبردج بالنسبة لإنشاء كرسى اللغة العربية فيها. فهذه المراجع تقرر فى خطاب مؤرخ فى ٩ مايو ١٩٣٦ إلى مؤسسى هذا الكرسى: «ونحن ندرك إننا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد بتعريض كبير من المعرفة للنور - بدلا من احتباسه فى نطاق هذه اللغة التى نسعى لتعلمها، ولكننا نهدف أيضاً إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية، إلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة، والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن فى الظلمات»<sup>(١)</sup>!!

A.J. Asbesry, The Cambridge Sahooe of arabic. Cambridge 1948, p. 8.

(١)

ولكن معظم ما توصلت إلى معرفته الدراسات العربية أو الإسلامية التي أنشئت لتحقيق غرض جدلى أو تبشيري أو تجارى أو دبلوماسى أو علمى أو حتى أكاديمى، قد ظلت طويلا عليها مسحة من ظلال عداء عميق الجذور وهذا أول جالس على كرسى العربية فى كمبردج يعد مشروعاً لم يكتمل إنفاذه قط لتفنيد القرآن! وكان ممن أعقبوه على هذا الكرسى فى أول مرة خلال القرن الثامن عشر من كتب مؤلفاً رائداً عن «تاريخ العرب» History of the Saracans كما حبذ أن يقرأ القرآن لمعارضته أو تفنيده! هكذا يبدو أن المعرفة المتزايدة لم تقطع سوى خطوات محدودة لتبديد ما تراكم عبر القرون من موروثات!!

كذلك لم تحدث التغيرات التاريخية تحسناً على الموقف. لقد وضع التوسع الأوروبى فيما وراء البحار يده على مساحات كبيرة من ديار الإسلام على مر الزمن، وقد بلغ هذا التوسع ذروته فى القرن التاسع عشر عندما صارت أوربا سيدة لمنطقة إسلامية شاسعة يسكنها ملايين المسلمين. ولقد صحب الاستعمار السياسى أو اتبعه تعزيز ثقافى أكثر دهاء.

وتدهورت ثروة العالم الإسلامى إلى هاوية سحيقة، وأصبح مصير مدينته إلى حد كبير فى أيدي القوى المسيحية<sup>(١)</sup>.

وفى ظل الوضع الجديد بدأ التعليم المدنى يعد جذوره كما أتيح للعمل التبشيري أن يكون ممكناً. وتقاسم التعليم المدنى والتبشير المسيحى الاتجاه إلى تغذية نزعة التشكيك فى أسلوب حياة المسلمين- مجرد التشكيك على الأقل<sup>(٢)</sup>. وعمل كل من السيد المسيحى (الجتلمان) «بناء الإمبراطورية» والمبشر المسيحى «سفير المسيح» على التأثير بطريق مباشر أو غير مباشر فى مجرى التعليم فى البلدان

(١) على سبيل المثال: Proceedings of the Church Missionary society 1882. p. 5.

وفيه (أن حملة فتح مصر وما أثمرت عنه من آثار باحتلال إنجلترا لمناطق واسعة من البلاد هو مما يزيد مسؤولية المسيحين الإنجليز فى تقديم إنجيل المسيح إلى مصر).

(٢) على سبيل المثال دكتور محمد البهى: تقديم كتاب الشيخ محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، مطبعة الأزهر ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م، ص ٣، ٥.

الإسلامية. وأخرجت هاتان الطبقتان من العاملين عددًا من المتخصصين الجدد فى العربية أو الفارسية أو التركية أو الإسلام كانوا روادًا بين أيدى المستشرقين الأكاديميين.

وكان الطريق مفتوحًا آمنًا كذلك أمام الرحالة المحب للاستطلاع. من لديه فراغ الوقت ورومانسية الخيال وثناء الجيب من الساعين إلى المعرفة الذين يخطون كتابات سطحية عن الشرقى أو الآثار أو المخطوطات التى يتوصل إليها. ولكننا خلال هذا كله كنا نبين ملامح الباحث المجرى مثل «أ. و. لين E. W. Lane» الذى لم يكن يكل أو يمل<sup>(١)</sup> واقتنع التبشير من كتابات هؤلاء أنه إذا كانت قوة الإسلام السياسية قد اهترت فإن انحلال قوته الروحية وتحول أتباعه إلى المسيحية قد بات فى متناول اليد.

هكذا كانت زاوية النظر حين استهلت الجماعات التبشيرية البريطانية - وغيرها - عملها فى الشرق، فى بلدان أفريقية وحوض البحر المتوسط. ومنذ البداية كان هناك تجاوب متبادل إن لم يكن هناك تماثل فى المقصد بين المستشرق الأكاديمى والمبشر الإنجليى. ويصدق هذا بصفة خاصة على المتجهين للدراسات العربية بجامعة إنجلترا اللتين أدخلت فيهما دراسة العربية لتكون عونًا للدراسات الإلهية والإنجيلية عن طريق باحثين هم أنفسهم يتنظمون فى سلك هيئات دينية holy orders وهكذا عمل معهد مكبريد Mcbride فى أكسفورد ومعهد لى Lee فى كمبردج<sup>(٢)</sup> لصالح جمعية الكنيسة Church missionary Society التبشيرية فى ترجمة «بروتستنتية» للإنجيل والمزامير إلى العربية.

(١) عاون لين كثيرًا فى وضع معجمه شيخ أزهري هو إبراهيم الدسوقي الذى كان مصححًا فى مطبعة بولاق

انظر: A.A. Paton history of the Egyptian Revolution:

(London 1870) II, 270 quoted by Heywarth- Dunne. Printing and Translation under Mohammed Ali of Egypt - in the journal of the Royal Asiatic Society, July 1940, 315.

(٢) تعلم (صموئيل لى) فى كلية Queen's College بمنحة دراسية من جمعية الكنيسة التبشيرية Church Missionary Society وذلك طبقًا لما جاء فى Committee Minutes II, 01,349.

وعاش التحالف بين الجانبين على وهنه خلال القرن التاسع عشر ولكنه بقي قائماً بصورة من الصور إلى عهد مرجوليوت في هذا القرن، ولم ينحل تماماً قط. وتعلم الفريقان أن يراجعوا أهدافهم ومناهجهم، ولكن ظل هناك على حاله تيار عميق من الفكر السائد- ربما غدا الآن كامناً في أعماق ما وراء الشعور- يذهب إلى أن الإسلام لا بد أن يعاد تشكيله في قوالب غربية Westernization أو عصرية modernization أو إصلاحية reformation وهكذا صلى المبشرون وجادل المستشرقون، وكتب الفريقان أو واصلوا الكتابة بدرجات متفاوتة من الدهاء وبعد النظر في تناول الموضوع.

ولنحصر الآن دراستنا في بريطانيا، فهي موضوع هذا البحث. على أن الدراسات الشرقية في بريطانيا -كغيرها من البلاد- كانت مرتبطة بتطور الدراسات الإنسانية في الجامعات الأوربية نتيجة لتأثير هذا التطور في دراسة التاريخ عموماً وفي الاقتراب من حقيقة الإسلام بوجه خاص.

وأسهم الباحثون الإنجليز والفرنسيون والألمان وغيرهم من الباحثين من مختلف الأمم بجهود كبيرة من الدراسات العربية والإسلامية عن طريق التدريس والكتابة ونشر النصوص. استطاعت جهودهم مجتمعة أن تهئ ظروفاً ملائمة لرعاية اتجاه متميز للاقتراب من حقيقة الإسلام يكون مخلصاً كما يمكن أن يصدق عليه وصف الأكاديمية<sup>(١)</sup>.

وليس من شك أنه ثمة تقدم ملحوظ صوب هذا الهدف قد حدث. ولكن لا يشك كثيراً أيضاً في أن الوصول إلى هذا الهدف لم يتحقق لعدد ذى خطر من الدارسين المعاصرين للإسلام، سواء منهم من لقي ربه أو من لا يزال على قيد الحياة وجهودهم تنقسم بطبيعتها إلى قسمين متميزين: نشر النصوص والدراسات التحليلية، مما سيرد تفصيله فيما بعد. ولكن يمكن أن نقرر هنا على سبيل الإجمال أن النظرة العلمية للدارسين للإسلام من الناطقين بالانجليزية - وهم الذين نقصر

(١) لأجل العرض التاريخي انظر:

J. Fuck, Die Arabischer Studies in Europa bis in dee Anfang des 20. Yahrhunderst, Leipzig 1955.

دراستنا عليهم في السطور التالية- كانت أقل عمقاً في دراسات هؤلاء منها في نشرهم للنصوص. ولا تعوزنا الشواهد على قصور التمييز حتى بالنسبة لنشر ترجمة لبعض النصوص، حيث كان الموضوع يستسلم لأهواء «الآراء الثابتة المقررة» عن الإسلام. مما لا يزال قائماً في عقول الباحثين الغربيين<sup>(١)</sup>.

ولربما كان من غير المؤلف في مثل هذه الدراسة أن نعني بالمستشرقين الأحياء أكثر من عنايتنا بمن أصبحوا في ذمة التاريخ. ولكن إذا كان العرف الجارى يتقبل تقديم عرض لكتاب ما يزال مؤلفه على قيد الحياة بمجرد ظهور الكتاب، والنقل عنه في معرض التأييد أو التفنيد، فإنه يغدو من البحث المشروع بالتأكيد أن تناقش جهود أى مؤلف في مجموعها أو أجزائها، مدى نجاحها إذا ما تناولت موضوعات لها أهميتها الحيوية. والأحياء- لا الموتى- هم القادرون على أن يرونا فى أنفسهم انعكاس النتائج التى تمخضت عن نشر آرائهم وهذا هو أحد مقاصد هذه الدراسة، أن تذكر بعض الباحثين بالصدمة التى تحدثها آراؤهم لعقل المسلم فى هذا العصر العلمى.

ولابد من إرجاء كلمة تحذير. أن التحليل التالى- وهو ثمرة لدراسة وتأمل استغرقنا وقتاً وجهداً، لا يحمل أى روح للجدل، ويخطئ من يظنه اعتذاراً أملاء الحماس لعقيدة دينية أو قومية. وإنما هو عرض لجهد مخلص فى سبيل تحقيق تفاهم أفضل لمسألة قديمة. وكاتب هذه السطور يعتقد أن ألوان التحامل القديم قد تكون تضاءلت كثيراً منذ فجر هذا القرن لكنها مازالت تعيش قوية، ومازالت فئة من الباحثين فى العربية والإسلام تعمل على نشرها فى الغرب على نطاق واسع. ثم إن الكاتب يخشى أن يعزز التحامل «القومى» مؤخراً من شأن التحامل «الدينى». فهناك من الشواهد ما يدل على أن الرصيد المخترن من مشاعر العداوة للإسلام يمتد الآن إلى العرب أو على وجه أخص القومية العربية. ولا نريد أن ندخل فى تفاصيل لا طائل تحتها، ولكن هذا الشعور قد يتفاقم على طريقة العصور الوسطى إلى حد يلحق الوبال بالدراسات الشرقية والعلاقات الإنسانية جميعاً. ومن أجل الحرص الصادق على كليهما معاً كانت هذه المناقشة.

\* \* \*

(١) راجع مثلاً ما سيذكر بعد تحت رقم ٣.

## (٢)

إن بعض المستشرقين الناطقين بالإنجليزية - ونحن لا نقصد منذ الآن بهذا الاصطلاح المرتبط بالجنس والسلالة مستشرقى بريطانيا وحدها، وإنما نقصد مستشرقى أمريكا الشمالية أيضاً- قد عرض لدراسة الإسلام خلال دراسات للكتاب المقدس أو اللاهوت، بل الواقع أن من هؤلاء من يتنظم فى هيئات دينية *holyarders* والبعض الآخر من هؤلاء المستشرقين وجد نفسه فى نطاق هذه الدراسة مصادفة. نتيجة للإقامة أو خدمة التبشير أو الخدمة العسكرية فى بلد إسلامى. ولكن هناك من اختار دراسة الإسلام قصداً كوجهة له فى حياته العلمية- وربما كان هذا يصدق بصفة خاصة بالنسبة للجيل الأحدث نشوءاً. وإذا كان لنا أن نصف فى كلمة ما لاقوه من دربة فى هذا المجال، فمن الصواب أن نقول إن معظمهم قد تلقى مرانا فى اللغة أو الأدب- بصرف النظر عن الأساس العقيدى فى بعض الحالات. ولكن قليلا منهم من درب على معالجة التاريخ. وربما خاض واحد أو اثنان أخيراً نوعاً من مخاطر التجربة فى مجالات علم الاجتماع وعلم النفس.

وقد يكون هذا إحدى العقبات الخطيرة. فكثير من دراسات المستشرقين الناطقين بالإنجليزية قد تتميز بالتألق، ولكن حين يغوص المرء تحت المظاهر السطحية من الحواشى المتعائلة والمراجع المنسقة، يجد المرء نفسه مضطراً لأن يواجه نذير الخطر فى إلقاء القول على عواهنه والتخمين وإصدار الأحكام التى لا يشهد لها إلا القليل من الشواهد، أو لا يشهد لها شاهد قوى على الإطلاق أن المهارة فى ذلك رموز النصوص العربية (أو الفارسية أو التركية) شىء له اعتباره بالطبع، ولكن المقدرة على إقامة المادة المختارة فى بناء جامع، ومن ثم فى عمل تاريخى بالمعنى الفنى المقبول شىء آخر تماماً. والتاريخ بوجه عام يتعرض لهجمات الغرباء أكثر من غيره، وغالباً ما يتناقل الناس أن كل من أمكنه استعمال القلم يستطيع أن يكتب التاريخ. وفى مجال الدراسات الإسلامية تكون المادة اللغوية أو الأدبية أو التاريخية من الشباك لدرجة تلزم الباحثين أن يتوفروا على بذل الكثير من المحاولات. وفى خلال هذه المحاولات يجدون أنفسهم يكتبون التاريخ من حيث لا يدرون فى غالب الأمر. وهم لم يؤهلوا لهذا العمل إلا قليلاً. ومن ثم يسهل علينا أن نعرف لماذا

عولج موضوع «الإسلام» بأقلام قليل من المؤرخين المستشرقين على صورة أفضل كثيراً من معالجته بأقلام غالبية المستشرقين من اللغويين.

ونحن نورد فيما يلي قليلاً من العثرات في مؤلفات المستشرقين التي تشهد على نقص المستوى التاريخي العلمى. ولكى يكون نطاق البحث محدوداً وميسوراً سنقصر ملاحظتنا على الباحثين فى الدراسات العربية، فليس ثمة مجال لاتهام أحدهم بياعث من بواعث الجدل أو التبشير. وجميعهم يؤخذون باعتبارهم متوفرين على النشاط الأكاديمى الذى يحمل فى ذاته التبرير والجزاء. والمستشرقون يعملون بالطبع خلال اضطلاعهم بواجباتهم المعتادة على تدريب دبلوماسيين ومبشرين ورجال أعمال بجانب جهودهم فى العمل على استدامة بقاء نوعهم بتدريب من يخلفهم فى التدريس والبحث، ومن هنا تكون أهمية ما يحملون من (أيدولوجية) بالنسبة لما يخلفونه من آثار وما ينطبع منهم على غيرهم. ومقصدنا بالضبط أن نعرض هنا لمناقشة الأيدولوجية كما تحملها كتب هؤلاء، لأجل أن نبرز المواضيع التى أغفل فيها التدقيق فى اتباع القوانين المسلم بها فى البحث العلمى.

وربما كان أبرز الأمور التى لا تراعى فيها قواعد (اللعبة) ذلك المفهوم الذى شغف به معظم المستشرقين عن دور محمد كرسول لله وطبيعة الرسالة التى أمر بإبلاغها كما حفظها القرآن. ومحمد بالنسبة لجماعة الإسلام هو آخر رسل الله للبشرية، أرسل مصدقاً لرسالات الأنبياء السابقين ومكملاً لها. والقرآن بالنسبة لهذه الجماعة هو كلام الله الأزلى غير المخلوق، أوحى إلى محمد منجماً على فترات عن طريق الملك جبريل. والدعوة إلى نشر هذه الرسالة هو كالرسالة نفسها من أمر الله ووحيه.

وأى كاتب- وإن لم يكن مسلماً مؤمناً- يتخلف عن مراعاة هذه الاعتقادات وهو يكتب عن الإسلام إنما يخاطر بتعريض نفسه للاتهام بنقص فى النظرة الموضوعية الشاملة وعند معالجة هذا الموضوع قد يكون الطريق السليم أن يقرر الكاتب وجهة نظر المسلم كاملة فى تمام ووضوح لا يدعان مثاراً للشكوى أو سوء التأويل. وإذا ما كان للكاتب رأى مغاير أو إذا ما رغب فى الإشارة إلى آراء مغايرة، فسوف يكون موقفه مقبولاً تماماً حين يبدى ما يريد منفصلاً متميزاً بعد أن يقرر وجهة النظر المتعارف عليها بين المسلمين.

غير أن هذا النهج المنطقي والطبيعي في العرض قلما يتبع من الأسف، وكثيرا ما يحدث العكس، فيتعرض القارئ نتيجة لذلك- ما لم يكن على علم- إلى شيء من الإيحاء برأى معين، أو يتعرض على الأقل إلى اختلاط في الأمور يجعله عاجزاً عن التمييز بين الأصل المتوارث لدى جماعة المسلمين وبين رأى الكاتب. وهكذا نجد كثيراً من المستشرقين الذين يحملون غيرهم أعباء معارفهم الخاصة يهملون ملاحظة مبادئ أولية للمنهج العلمى فى معالجة المسائل التاريخية. فهم يؤكدون مثلاً أن القرآن من إنشاء محمد<sup>(١)</sup> ثم يذهبون مذهباً بعيداً فى تأسيس الأحكام التاريخية والعقيدية والأدبية وغيرها على هذا التأكيد وسرعان ما ترتفع هذه بمحض الشهرة إلى مرتبة الحقائق!

وربما كان هذا أحد العوامل الكبرى- إن لم يكن أكبر العوامل فى خلق نزعة من التشكيك- إن لم يكن العدا- لدى العلماء والمسلمين المتعلمين إزاء جهود المستشرقين ويشارك فى هذا الشعور خريجو المعاهد الغربية بل وتلاميذ المستشرقين المعروفين أنفسهم!!

لقد ذهب الأيام التى كان يكتب فيها المستشرقون غالب كتابتهم ليقراها مستشرقون مثلهم! ونحن قد ننحى جانباً الدراسات الفرعية المتخصصة Special-ized monographs لنجد معظم الإنتاج الحاضر يقرأه ويقدره أعداد ضخمة من الباحثين والمثقفين واسعى الأفق فى الغرب، ومن هؤلاء أعداد قد تكون أضخم فى العالم الإسلامى. والمسلمون الآن وقد تكررت الهجمات الجدلية والتبشيرية على عقيدتهم واستطال أمد السيطرة الغربية سياسية وثقافية على ديارهم، قد غدوا عرضة لمواجهة الأذى بصورة أشد من ذى قبل.

ولم تتوقف الآراء المنهجية المتجنبة على أن نجد سبيلها إلى النشر على أية حال. ولا بد أن أصحاب هذه الآراء على بينة من أنه مما يؤذى مشاعر المسلمين أن تطرح جانباً عقيدتهم الأساسية فى أن الإسلام من عند الله، وأن يعرض بصورة أو بأخرى أن محمداً قد اصطنع دعاوى كاذبة ليجعل من نفسه حامل رسالة إلهية،

(١) انظر على أية حال: H.A.R. Gibb, Mohammedanism, Oxford, الذى يقرر فى وضوح وجهة النظر المتعارفة لدى المسلمين قبل أن يعرض لتزيين القول بأن القرآن هو تعبير عن محمد صادر منه Mohammad's Utterances وهذا آرى A. J. Arbery أبرز مستشرقى الإنجليز الأحياء يعتبر القرآن نتاجاً فوق الطبيعة supernatural لكنه لا يشارك المسلمين الرأى أنه من مصدر إلهى.

انظر: The Holy Koran 1953-32.

وأن القرآن نفسه ليس على هذا النحو سوى تأليف محتال! أفليس يكون أدمى للتفاهم الإنساني وأولى بالبحث العلمى أن تترك أمور العقيدة على حدة، وأن توجه الجهود إلى مجالات أكثر ظهوراً وأيسر إدراكاً مثل الأدب والفن والعلم، وهى مجالات على الرغم من جهود المستشرقين مازال يعترضها الكثير من علامات الاستفهام؟ وليس من شك فى أنه من الممكن لمستشرق مسيحي (أو يهودى) يعتقد غير عقيدة المسلمين أن يضع مفهوم المسلم لدينه فى تعبير المسلم واصطلاحه<sup>(١)</sup>. وهو حين يفعل، لن يكون أكثر اقترباً من المنهج العلمى فحسب، ولكنه سيجعل نفسه فى مركز أفضل كى يفهم مكان دعوة الإسلام بين أحداث التاريخ.

إن المسلم المؤمن والمستشرق المتشكك هما أيضاً قطبان متنافران بالنسبة لأصول الإسلام. وهنا أيضاً تنزع آراء الغالبية من المستشرقين الناطقين بالإنجليزية وغيرهم إلى خلق شعور الاستياء بين المسلمين، وبالتالي وضع عقبات خطيرة فى طريق الحركة الفكرية بين الجانبين. فالمستشرق وقد طرح احتجاج المسلم لعقيدته فى الأصل الإلهى للإسلام وقرر أن محمداً كإنسان ودون أية وساطة إلهية هو المسؤول عن إنشاء القرآن قد غدا جد مشغول باستكشاف «الأصول» لليهودية المسيحية دون التوصل إلى نتائج حاسمة أخيرة، اللهم إلا الإشارة لمقابلات واضحة جلية، ثم إزجاء الحديث فى معرض هذه المقابلات، وهو حديث يتخذ سمة التعامل أو التجادل حول الواضح الجلى!!

إننا نستعمل كلمة «التجادل» قصداً للتعبير عن هذا النوع من الحديث Speculative وذلك للسبب التالى: فلننس لحظة ما يؤمن به المسلمون، ولنعط المسألة اعتبارها كمسألة تاريخية صرفة<sup>(٢)</sup>. ولنفترض جدلاً أن القرآن من

---

(١) مثل هذا العرض أورده دانيال Islam and the West N. Daniel the Making of an Image (Edinburgh, 1960), 305.

(٢) أبدي فيس إنجليزي وعالم ميرز أيضا هو: بيرنز E.W. Barnes فى كتابه: The Rise of Christianity, London 1938 كيف كانت أصول المسيحية - واليهودية من قبلها- عميقة الجذور فى تراث الشرق الأدنى من أساطير وخرافات ووقائع، والمؤرخ الذى ينظر إلى الكتاب المقدس وإلى القرآن كوثائق إنسانية قد يطالب المستشرق الذى يجادل عن دعوى الأصول اليهودية المسيحية للإسلام بأن يدقق فى الملاحظة والتأمل ثم يبدى ما يتضح له من انعكاسات!.

إنشاء محمد، كيف يتسنى لدارس التاريخ أن يثبت اقتباس محمد من المصادر السابقة عليه؟ إذا كانت المسألة بالتخمين فليس ثمة كسب وراء ضياع الوقت في اختبار التفاصيل، أما إذا كان الأمر خاصاً لمنهج تاريخي صارم عنيف، فإن أى شاهد يقدم جدير بالملاحظة الدقيقة، وعلى أية حال فإن أى شاهد قائم أو مستعمل لتعزيز دعوى الأصل اليهودي المسيحي لا يثبت للمراجعة والنقاش.

ولا يمكن قبول المقابلات وحدها في موضع يحتاج إلى شواهد حاسمة ذات نتائج قاطعة. وهيهات أن تكفى التفت المقتطعة والإشارات والاستدلالات المتعسفة والتخمينات الذكية في هذا المقام، فضلاً عن أى مقام! ونحن نحتاج لخيال قوى جداً لمتابعة القول بأن محمداً - الذى قررت الأصول الدينية أنه لم يكن يقرأ أو يكتب كان على التخطيط الذى أنشأه المستشرقون له- قد جلس عاكفاً فى مكتبته يبحث كتب الأولين لينقل عنها<sup>(١)</sup> لأجل تأليف الكتاب المعروف بالقرآن! قد يحمل هذا التعبير بعض المبالغة بغير شك، ولكنه يجمل ما تذهب فيه هذه الدعوى إلى التفصيل!!<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر مثلاً:

A. Guillaume, the Life of Mohammed, Oxford 1956, 86 a quotation from the Gospel, 655, "an allusion to Matt, XXL, 33 f. Montgomery Watt, Islam and integration of Society, London 1961, 262. quotations from the bible begin to appear in muslim works".

وكل هذه الاقتباسات قد حدثت حين لم يكن هناك ترجمة عربية للكتاب المقدس يقتبس عنها!

(٢) انظر مثلاً:

Rosenthal, the influence of Biblical Tradition on muslim historiography, in B. Lewis, P. M. Holt (eds) Historians of the Middle East, Oxford 1962.

وبينما يتابع روزنتال القول بأن القرآن من إنشاء محمد، وأنه استمد الأجزاء التاريخية على الأقل من مصدر يهودي مسيحي متأخر نراه أكثر دقة من الباحثين الذاهبين هذا المذهب. فهو يبدى احساساً تاريخياً حين يستخدم كلمة (متأخر) Altimate كما يبدى حياداً عقلياً بالتحذير من إلقاء القول على عواهنه speculation والآراء المسبقة preconceived ولكنه ينزلق مستسلماً لتأثير الإيهام نفسه فيتقبل فروضاً لا يقوم عليها دليل (انظر Gerpessins pp. 45-6). وربما كان ناشرو هذه المجموعة القيمة من المقالات أكثر دقة فى هذا الصدد، فقد قرروا فى مقدمتهم (pp. 2, 11) أن الشرق الأوسط (شهد مولد ثلاث ديانات كبرى للبشرية اليهودية وخليفتها المسيحية والإسلام) وسوف تأتى فيما بعد تحت رقم (٣) مناقشة لهذه النقطة فيما أبدى من الملاحظات.

إن المقابلات والمشابهات خداعة للغاية!! إنها لا تكون بالضرورة دليلا علميا على نسبة كتابين متشابهين، إذ يعوزهما التذليل على الاقتباس الواعى من اللاحق للسابق، وقد يجوز أن يكون كلاهما ناقلا عن مصدر ثالث مشترك.

والحق أن الباحث الذى نظر إلى الكتاب المقدس والقرآن على أنهما وثائق إنسانية، قد ينزع بمنطق سليم إلى تتبع بعض ما جاء فيهما من آثار التراث الفعلى المبكر للشرق الأدنى، وعلى أية حال يحتاج إثبات الاقتباس السامى الفعلى بالضرورة إلى شواهد أكثر إقناعا مما جرى عرضه حتى الآن.

إن فيكو Vico هو الذى قال: إن الأفكار تنتشر عن طريق استكشاف كل أمة - أو ثقافة- مستقلة عن غيرها لاحتياجاتها فى أية مرحلة من مراحل تطورها<sup>(١)</sup>، ولقد قال أحد المستشرقين البارزين نفس القول مع تعزيز بتوضيح إذ يؤكد أن الثقافة المستعيرة - فى حالتنا التى نعالجها الآن النظام الدينى- لا بد أن تحس هى نفسها حاجتها خلال تطورها الداخلى إلى غذاء من الخارج وكل ما تستعيره فى هذا السبيل لن تتفع منه إلا إذا استند إلى هذه العناصر من الثقافة القومية -أو من الدين التى تطلبت الاستعارة والثقافة الحية أو الدين -ترفض تلقائيا كل العناصر الداخلية التى تتعارض مع قيمتها الأساسية<sup>(٢)</sup>.

وكاتب هذه السطور لا يرى فيما أرىق من مداد سود صحائف المجلدات المتعددة عن «أصول» origins الإسلام دليلا مقنعا بالمعنى التاريخى، بحيث يثبت أن مثل هذا الاقتباس قد حدث فعلا. بل على العكس نرى الشاهد المعاصر الوحيد الذى مازال باقيا هو من آيات القرآن نفسه، وهذا يستبعد مثل هذا الاحتمال بأقطع عبارة، ومن المستغرب أن هذا الشاهد يطرح جانبا فى الغالب ومن هنا تأتى ملاحظة باحث حاذق له جهوده المشكورة فى الدراسات الإسلامية حيث يقول: «إن الإسلام يمزج دائما بين المقدرة على تمثيل العناصر الأجنبية والعزوف عن الإقرار بالأصول التى استمدت منها»<sup>(٣)</sup>.

(١) نقل عن R. G. Collingwood, The Idea of History, Oxford 1951, 69, 71.

(٢) H. A. R. Gibb, A "The influence of Islamic Culture on Medieval Europe" in the Bulletin of the John Rylands Library Manchester, XXXVIII, 1955-6, 85: 7.

(٣) B.E. von Brunebaum islam: Essays in the nature and growth of a Cultural Tradition, London 1961, 228.

وهذا ملاحظة تستحق البحث ولو بصورة عابرة، مادامت قد أوردت بصورة عابرة! فإذا كان المقصود بكلمة الإسلام هو مدينة الإسلام أو حضارته أو ثقافته، فإن مسألة تمثل العناصر الأجنبية أو مصادر هذه العناصر لم تكن قط محل إنكار<sup>(١)</sup>. أما إذا كان المقصود هو العقيدة والدين، فإن كاتب هذه الكلمات لا يكاد يحتاج إلى من يذكره أن الإسلام إذا ابتغى أن ينفض عنه ما كان ماثرا لنعيه عليه، فإنه لن يكون بعد هو الإسلام في خصائصه المعروفة، وسوف يتخلى عن التعاليم الصريحة في كتابه المقدس. والإسلام كعقيدة كل لا يقبل التجزئة، إما أن يؤخذ كله وإما أن يترك كله.

هناك مثال لكثير من الآراء الخطيرة التي يكاد يخفيها ما يساق من عبارات تبدو مقتبسة، ولكنها تفقد رونقها بإمعان النظر عن قرب وحتى المستشرقين الذين توصلوا مع أنفسهم إلى التوافق على قبول صدق محمد والاعتراف بأنه دعا إلى دين جديد متميز تميزا أساسيا. يعودون ليؤكدوا في الوقت نفسه أن رسالة محمد لم تكن كلها من مصدر إلهي! وهذا نص آخر لباحث آخر له أبحاث قيمة عن حياة محمد، إنه يقول: «إن على الإسلام أن يقر بحقيقة أصله - ذلك التأثير التاريخي للتراث الديني اليهودي المسيحي»<sup>(٢)</sup>. وهنا تؤخذ مسألة «الأصول» كحقيقة مقررة ويشارك إليها على هذا النحو دون تمحيص أو مناقشة<sup>(٣)</sup>، وإذا ما استعرنا أسلوب النص ربما قلنا: إن على الكاتب أن يقر بأنه لم يصب على أى وجه من الوجهين: عندما اعتبر محمدا نبيا صادقا ثم عزا إليه التلاعب، ما دام وهو الذى يفترض أنه مؤلف القرآن لم يعترف بما اكتسبه من أفكار الآخرين!

(١) ومن هنا يجب مناقشة مدى سلامة ملاحظة أخرى لقون جرونيارم انظر: "Problems of Muslim nationalism" in R. N. Frye (ed) Islam and the west. The Hague 1957, 29.

(...) إن الضغط المحافظ يضطر إلى إخفاء الاستعارة بقدر الإمكان وراء حجاب من الأساطير "ortogentic legend" انظر مناقشات أخرى لهذا الموضوع تحت رقم ٥ فيما بعد.

(٢) W. M. Matt, Islam and the Integration of Society London 1961, 293.

(٣) انظر مثلاً: B. Lewis, The Arabs in History London 1960. وهو فى هذا الكتاب الموجز غير الموثق يستعمل لغة أكثر حذراً حين يقول ص ٣٩ (...). وعلى وجه الاحتمال من التجار والرحالة اليهود والنصارى الذين تأثرت معارفهم بمؤثرات مدار شبه أو مشكوك فى صحتها).

إن هذا الازدواج يرجع للتناقض مع النفس، وهو غير مقنع فى أى من وجهتى النظر فى المسألة، لأنه لا يؤيد إحدى الوجهتين كاملة ولا ينقض الأخرى تماماً والمسلم المؤمن سيظل على موقفه، كما سيقى هذا المجادل على موقفه، أما الكاتب الذى درب على معالجة التاريخ فهو لا يحاول أن يركب جوادين فى وقت واحد، وقد تكون هذه المحاولة للتوفيق جديدة بالتقدير، ولكن نتيجة المحاولة المخيبة لأمال كل من المؤيد للعقيدة والمعارض لها على السواء، كما أنها لا تلقى ترحيباً من المؤرخ المحايد الذى يفتقد الأدوات اللازمة للتحليل، والحق أنه على الرغم من التقدم فى كتابة التاريخ العلمى، فإن هؤلاء «الازدواجيين dualists» فى الدراسات الإسلامية قد أسهموا بجهود قد تكون متميزة فى ذاتها، ولكنها تدل على إدراك أقل مما كان لدى المتطرفين السابقين من مؤمنين ومجادلين، والذى يحاول اللاحقون جاهدين عن وعى أو غير وعى أن يشغلوا أماكنهم ويحلوا محلهم.

### (٣)

من الواضح أن الفارق بين معنى الإسلام لدى معتنقيه وصورته التى يرسمها له المستشرقون تمس أسس العقيدة الإسلامية ذاتها. وعلى الرغم من أن التقدم نحو البحث الأكاديمى ليس محل جدل، فإن من الواضح فى هذا الصدد أن صورة العصور الوسطى للإسلام قد ظلت فى جوهرها دون تغيير، وإنما نضت عنها الثياب القديمة لأجل أن تضع ثياب أقرب إلى العصر. وتعدد علائم الإصرار على الأفكار العتيقة سواء فيما يتعلق بالقرآن ومحمد، أو ما تعلق منطقياً بالعقيدة والشريعة والتاريخ فى الإسلام. وليس الإطناب أكثر من ذلك فى هذا الأمر بمرغوب أو مفيد. وإنما نحمد إلى تقدير الموضوع من زاوية أخرى.

لقد كان من نتائج التوغل الغربى فى ديار الإسلام. أن تعرض عقل الشباب لمجادلات مضللة عن طريق التعليم المدنى أو الجهود التبشيرية إلى حد كبير، وهى مجادلات سبق أن صيغت لتوافق من تقوضت العقيدة المسيحية فى صدورهم تماماً فى أوروبا الغربية. ولكن على العكس من أسلوب الجدل الوسيط، كان للمنهج الجديد هدف إيجابى، وخاصة بالنسبة للمبشر، هو التحويل للمسيحية. وهذه الطريقة فى

أبسط صورها هي طريقة «مقارنة الديانات» Comparative Religion التي تحاول أن تقارب المسيحية بالإسلام، لغير صالح الأخير في الغالب الأعم!! ومازال هذا الأسلوب قائماً في أيامنا، وإن كان لا يصرح الآن بمقاصده الإنجيلية الصريحة.

وهنا يكون الأمر أيضاً أكثر دلالة إذا قدمنا أمثلة صريحة، ولكن يمكن أن نقرر أولاً بضع مبادئ عامة. لقد كان منشأ دراسات مقارنات الأديان في الغرب يرتبط بالجدل، ولقد سبق أن قورنت اليهودية بالمسيحية، وبدلاً من أن تؤدي المقارنة إلى تنمية الفهم الصحيح، فإنها قد ولدت مزيداً من العدا. وهكذا كانت النتيجة بالنسبة لمقارنة اليهودية والمسيحية بالإسلام عن طريق اليهودية، والمسيحيين الذين اعتنقوا القول بأن الإسلام هو ثمرة لإحد الديانتين السماويتين السابقتين عليه أو ثمرة لهما معاً. وبينما نجد هناك علاقات اتصال عضوى organic relationship مسلم بين اليهودية والمسيحية، فإنه ليس من المسلم به أو المدعم بالبرهان العلمى وجود أى علاقة اتصال بين أيهما وبين الإسلام. وإنما نجم العدا اليهودى أو المسيحى للإسلام من صراع سياسى وعقائدى على مدار التاريخ! وأنه لتعليق مؤسف بالنسبة للحكمة الجامعة لدى هؤلاء العلماء من أتباع هذه الديانات، أن يذكر أنهم لم ينجحوا قط فى إزالة أسباب العدا والخصام المتبادلين، ولا بد أن يتقبل المستشرقون نصيباً من المسؤولية عن استدامة هذه الحال المحزنة للأمر.

ولذلك فإنه ما لم تحدد أهداف مقارنة الأديان فى المجال الإسلامى بوضوح وما لم تقبل قواعد معين لمنهج المقارنة من العاملين فيها. فإن هناك مخاطرة بأن تتمخض المقارنة عن مجادلة جوفاء! وقد يدعى هنا أن الراغبين فى القيام بهذه الأبحاث لا يضمون جوانحهم على مقاصد جدلية أو تبشيرية، وأن اهتمامهم الرئيسى هو اهتمام أكاديمى، وإذا كان ذلك كذلك، فإنهم لابد أن يتبينوا أن المقارنة تتطلب التسامح والتجاوب والتقدير ممن يضطلع بها، إذ يكون الهدف الرئيسى هو تعميق إدراك المرء لثقافته القومية -أو تراثه وتقاليد traditon ولثقافة الأخرى -أو التراث والتقاليد التى تجرى المقارنة معها. ومثل هذا الفهم من شأنه أن يربى اتجاهًا نقدياً لا بالنسبة لثقافة الغير -أو تراثه وتقاليد، بل بالنسبة لثقافة الباحث نفسها- أو تراثه وتقاليد.

وعلى ذلك فإن أى مسألة تدرس دراسة مقارنة لا بد أن تقرر بالتعبير المقبول لدى هؤلاء الذين استمدت هذه المسألة من تراثهم وتقاليدهم - وديانتهم بالنسبة لموضوعنا. ولا بد أن يوصل بين سائر الظروف المحيطة بها، ويحكم عليها طبقاً للقيم السائدة فى النظام القومى الذى تنتمى إليه. وإذا ما نالت هذه المبادئ الأولية القبول فإن أى كاتب يستشعر عداوة أو نفوراً، أو مجرد الإعراض عن تراث غريب عليه يجب أن يعترض صفرًا، وعليه أن يعتبر نفسه فى أمانة غير صالح عقلياً وعاطفياً لمحاولة المقارنة التى لن تثمر نفعاً ملموساً للبحث العلمى فى هذه الحالة.

وبينما لا نجد أحداً لحسن الحظ من المستشرقين الناطقين بالإنجليزية المعاصرين يبدى مثل هذه الضغينة، وهذا الحقد بصورة معينة - مثل ما نجد فى مؤلف لامنس Lammens المعروف إلا أنه قد نددت عن حاول المقارنة منهم هنا أو هناك تحاملات دينية أو عقائدية، من شأنها أن تتقص من قيمة جهودهم وتهز الثقة فى أبحاثهم.

إن النظرة الأولى للإسلام تكشف عن مواضع شبه بينه وبين المسيحية، ولكن النظرة الفاحصة عن قرب تبرز خلافات أساسية. وهذه الحقيقة كانت غالباً ما تثير المبشرين فى الماضى، وما زالت تستميل قليلاً فى المجال الأكاديمى إلى التحايل على تصيد مثل هذه الشوارد «كأصول للإسلام»! وينزع المبشر والباحث الأكاديمى إلى أن يتناسى، وهو ينال من قدرة محمد بطريق مباشر أو غير مباشر، كيف يقدر المسلمو الأتقياء المسيح!

وفى كتاب قريب من سلسلة بنجوين Penguin عمل مستشرق قسيس إنجليكانى على عقد عدة مقارنات، ليظهر أن الإسلام كان فى صدق صورة غير محكمة أو مشوهة للمسيحية<sup>(١)</sup> وعلى كل حال فقد قدم المؤلف الحجة لتبرير التساؤل عن كفايته كقاض غير متحيز، وليس فقط بما أبداه من آراء غير مقنعة ولكن أيضاً بما أقر به من مشاعر إزاء الرسالة المودعة فى ثنايا القرآن: إنه يقر فى أحد مواضع الكتابة أن للقرآن بالنسبة إليه ومن على شاكلته فى التفكير - فهو ضمير (نا) الدالة على (الفاعلين) - مضموناً رجعيًا يدعو للتأخر Replent Content<sup>(٢)</sup>. والكاتب

(١) A.Guillaume, Islam, 1654, 162- 6 et passim

(٢) Ibid, 74.

يتكلم فى موضوع آخر عما يثير (نفورنا) من بعض الصور فى الإسلام، دون تحديد<sup>(١)</sup>! وفى هذا ما يكفى لإقناعه كى يتعد عن الموضوع. ولكنه يتراجع عن محاولة ترجمة السيرة إلى الإنجليزية، واتخاذها مادة تستعمل فى التعليق وغيره، كى يعطى تحامله النغمة الملائمة. ومادام قد نشر من قبل نقد منفصل لترجمته<sup>(٢)</sup> فليس من حاجة أن يقال المزيد فى هذا الصدد.

وهناك دارس آخر للإسلام هو أيضاً من رجال الكهنوت يستحق الذكر هنا بوجه خاص بسبب تقديمه لمزيد من الجدل السطحي *speatulation* الذى يعرض للتشابه بين المسيحية والإسلام. وهو يكتب: «إن من أسباب تباعد المسلمين والمسيحيين عن بعضهم البعض أن كلا الفريقين قد أساء فهم عقيدة الآخر بمحاولته أن يضعها خلال طراز الاعتقاد الذى يؤمن به»<sup>(٣)</sup>!

وشأن كثير من التعميمات لا يبدو مثل هذا النص منصفًا كما يحاول أن يكون فإن المسيحيين وحدهم هم الذين ظلوا طوال القرون يحاولون فهم الإسلام - أو إساءة فهمه من خلال اصطلاحات المسيحية. أما النظرة الأساسية للمسلم فقد ظلت على حالها لم تتغير على الدوام لأنها جزء من الوحي الإلهى فى القرآن<sup>(٤)</sup>.

(١) The Listener, London, October 16, 1952, 635 a.

(٢) A. L. Tifamy, the Life of Mohammed A critique of Guill aumés English Translation Islamic Quarterly III, No. 3, pp 196- 214.

(٣) W. C. Smith Islam in Medern History, Prinaton 1957, 17.

(٤) هذه فرصة مناسبة لتقديم عرض سميث W. C. Smith الشاعر لكتاب City (A frday in Jerusa- lem) of Wrong

The Muslim World فى عددها 134-7، April 1961،

والكتاب ترجمة لرواية كامل حسين الفلسفية العربية (قرية ظالمة). وقد بالغ عارض الترجمة أكثر من المترجم فى أهداف الرواية حتى اعتبرها (حركة كبرى) من مسلم له مكانته نحو رأى المسيحية فى الجمعة الحزينة ولقد كان جب H. A. R. Gibb أكثر اتزانًا حين لاحظ أن الإلهيات كانت بعيدة عن مقاصد الرواية إذ إنها تقف إلى جانب الآراء الإسلامية الأساسية كلها، ثم هى تستبعد أية إشارة إلى الرمزية المسيحية المتعلقة بالقصة. انظر: Religion in Life XXIX 1959-69 158-9 وعلى هذا النهج من الحكمة نجد عرض ألبرت حورانى Albert Hourani الذى يبين أن الرواية تعطى (الجواب الإسلامى السلفى Orthodox) على سؤالين أساسيين: هل المسيح ابن الله؟ وهل صلب حقًا انظر - Frontier II sum- mer 1961, 19 Die Welt des mer وقد ذهبت هذا المذهب فى عرض للترجمة ومقدمة المترجم، انظر: Islam, VI, Ms. 3-4 (961) 280-1.

ولم يحاول مسلم مؤمن أن يدخل المسيحية في إطار آخر. والمسيحي لا يواجه في كتبه المقدسة قيوداً صريحة تمنع عن تقبل وجهة نظر المسلم عن الإسلام، ومع ذلك فهو يرفض لا رأى المسلم في المسيحية فحسب. بل رأيه في الإسلام أيضاً، وهو يسمى جاهداً لتغيير الرأيين!

وصاحب العبارة المشار إليها في الفقرة السابقة هو رجل خبير في أبحاث الإلهيات، وقد بدأ وجهته هذه مدرساً في معهد تبشيري في لاهور. وهو يجعل من كلماته اعتذاراً لمحاولته لإدراك أحد الأهداف المسيحية. وهو في هذا السبيل يناقش خطأ شائعاً كما يقول بين المسيحيين والمسلمين، وهو افتراض «أن دور المسيح في المسيحية ودور محمد في الإسلام مما يمكن المقارنة بينهما. وهذا التقرير مضلل أيضاً: إذ إن مثل هذه المقارنة إنما تصح في جانب المسلمين الذين يؤمنون بالمسيح رسولاً من رسل الله للبشرية! أما بالنسبة لجانب المسيحيين عامة والمستشرقين خاصة، فإنهم لا يعترفون بمحمد رسولاً، أو يرونه قد وقع في لبس فظن نفسه رسولاً - كما بدا من العرض السابق. وفي مثل هذه الظروف، في أى جانب تصح المقارنة؟ والصفحات السابقة تبرز إلى أى مدى تعقدت من قبل دراسة الإسلام وحياة محمد، بما أدخله المستشرقون من مسائل جدلية لا سبيل لحلها. وإذا ما استنقذنا أنفسنا من هذه الورطة، فإن الفروض المقارنة المعروضة إذا ما أخذت مأخذ الجد فإنها توقعنا في شرك جديد!

إن هذه الفروض تذهب في إيجاز إلى أن دور محمد في الإسلام، ودور القديس بولس في المسيحية «أكثر قابلية للمقارنة» وأن القرآن يمكن مقارنته بشيخ المسيح، في حين يقارن حديث النبي بالكتاب المقدس! وقد توالى عرض المزيد من المقابلات<sup>(١)</sup>، ولا يعنينا هنا الصورة التي يمكن أن تستقبل بها مثل هذه (الهرطقات) في الدائرة المسيحية اللاهوتية، وإنما يهمنا الغرض الذي أعلنه الكاتب في عباراته وهو «الاتصال» Communication أو «التواصل» intercommuncration بين المستشرقين من المسلمين والمسيحيين. ترى هل تكون هذه المماثلات Onalogies

The World of Islam, Studies in Honour of Philip K. Hithi London 1960 47: 59 (١)

مؤدية إلى الهدف؟ أن الأمانة الصادقين غالبًا ما ينسون كأفراد ما تتضمنه أفكارهم حين يواجهون عقائد الآخرين ومشاعرهم وتحاملهم. ومن الصعب في حالتنا هذه أن نتصور أن مؤلف هذه الماثلات يتوقع لها أن تجد ترحيبًا لدى علماء المسلمين، ولنستبعد سوء الفهم بالنسبة لمقصد هذه الكلمات. إن الماثلات ليست وحدها مثار التساؤل بالدرجة الأولى، وإنما يشير التساؤل قبل كل شيء هذه الرواية المصطنعة التي يعرض تحتها هذا كله، هذه الدعوى العريضة عما لهذا المسلك من معانٍ جليلة وآثار تنوير المسلمين!

والحقايق الثابتة عن رد الفعل بين المسلمين لا يبدو أنها تعنى الكاتب أو تدعوه إلى الروية! وهو نفسه يقر بأنه عرض إحدى ماثلاته على مسلم متحرر يحمل درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن، فصدم بها كثيرًا، ولم يتردد في رفضها. ولكن هذا لم يقنع المؤلف، ولسنا في حاجة للذهاب إلى الأزهر لنكتشف معارضة أقوى. إن الكاتب نفسه قد رجع إلى ثلاثة ممن يسمون «بالمغتربين» Mestermized من المسلمين كل على انفراد، وكانت الإجابة واحدة على اختلاف في درجة التعبير بين الحدة والرقّة، فقد وصف هذه المحاولات بأنها «سطحية» و«تافهة» و«كفر صراح»!.. ترى مع من يكون إذن «الاتصال» و«التواصل» وإلى من يكون «التنوير»؟!

إن الجدل السطحي الضيق، وانتزاع المقابلات واصطناع الماثلات قد يكون جذابًا لأستاذ مقارنة الأديان. يرى واجبًا عليه أن يحاول واعيًا كي يجد بصورة ما موضوعات للمقارنة، كما قد تكون هذه العمليات المتوهمة مما يعنى البشر الذى قد يستخدم هذه الماثلات لاستئناس المقاومة وفتح الطريق. وربما كانت هذه المحاولات نافعة أيضًا لمدرس غير مسلم في جامعة عربية كطرائف تعطى لعمله شيئًا من الحياة! ولكن صدوره عن عقل مسيحي متخصص في الإلهيات وغارق في الاصطلاحات المسيحية، يجعله على الأقل بغير ثمرة لمن هم على علم من المسلمين<sup>(١)</sup> فإن الأمر في حقيقته حوار اجتماعي لأجل أن يكون مثمرًا، فلا بد أن يتناول موضوعات تكون مقبولة ومثيرة لاهتمام كل من الجانبين.

(١) انظر مثلاً للدكتور محمد البهي (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) القاهرة

وهذا مبشر قديم يحاضر فى الشريعة الإسلامية بجامعة لندن يعمل على تضمين مقالة واحدة كل اعتراضات العصور الوسطى على محمد وعلى الإسلام، على نهج أقل من نهج زميله الذى أشرنا إليه الآن تبصراً ودهاء، ولا يبدى احتراماً يذكر لذكاء القارئ! ومن المدهش أن يعلن المؤلف فى مقدمته أنه يقدم معلومات صحيحة لمعالجة الدراسة «موضوعياً» حتى يكون «منصفاً» «مدققاً»، ويتوقى «المقارنة عن طريق المقابلة مع المسيحية» Adverse Comparison with Christianity<sup>(١)</sup> ولكن بعد هذه الإعلانات كله عن الموضوعية يكتب الكاتب أنه «لا يمكن أن يكون هناك شك على أية صورة» أن محمداً قد تمثل أفكاراً من التلمود وبعض المصادر المحرفة، أما بالنسبة للمسيحية فإن هناك احتمالاً طاعياً بأن محمداً قد استمد إيحاء منها!

وقد يثير انتقاء الكلمات وحده الشك فى أمر كفاءة الكاتب، كى يكون قاضياً، ولكن معالجته الفعلية للموضوع فى مجمله يكشف عن هذا بصورة أوضح. ولقد تعرض شخص محمد لكثير من الافتراء، ولكن يظل الافتراء الرئيسى هو ما يمس جوهر رسالته وتقديمه للقرآن ككلام الله، فى حين أنه ليس كذلك، وهكذا نهج الكاتب بالنسبة لمحمد وبالنسبة للإسلام. وعلى هذا النحو يكون الحجج إلى مكة -إحدى دعائم الإسلام الخمس- مفتقداً للباعث المعنوى Moral uplift، ويكون دين الإسلام كله على أحسن الأحوال «بارداً شكلياً»! والمؤلف يقول كسابقه: إن مستويات الإسلام الأخلاقية جعلته ينفراً!

ويتضح تماماً ما إذا كان هذا المنهج يرقى إلى الموضوعية التى وعدنا بها الكاتب أم لا. إنه ينسى ماضيه كمبشر قديم، ويكتب من هذه الزاوية. وهكذا يصدر الحكم فى شأن (نقائص) الإسلام من زوايا مسيحية أوربية عصرية! ويكون الهدف إنجيلياً خالصاً! وبالنسبة للتطورات المحتملة داخل الإسلام فى العالم المعاصر يناقش الكاتب فرص الشيوعية، ولكنه يؤمل كما يظهر فى (تحول على قياس لم يسبق له مثيل إلى المسيحية التى لم تعرض بعد بالصورة المناسبة للعالم الإسلامى)! وهو إذ

(١) J.N. Anderson (ed.) the Worlds' Religions, London 1950 P. P. 52-98 وليس للناسر سوى

مقال عن الإسلام كما له مقدمة وخاتمة. و النصوص المذكورة سابقاً فى صفحات.

58-59-60-82 (n, 1), 92, 93, 97-8.

يخوض بعض المناقشات المعروفة عند المبشرين يجد من العقبات التي تعترض الطريق نحو (تحويل المسلمين إلى الإنجيل euangelization To Islam حكم الردة، واقتقاد النصوص التي تعين على تحويل المسلم عن دينه في القوانين العصرية التي صدرت مؤخراً<sup>(١)</sup>! وهو يختتم مقاله في أسلوب شعري (أن للعالم أن يرى ماذا سوف يحدث حين يعرض إنجيل المسيح الحى بالصورة الملائمة للملايين المسلمين)!

وليس ثمة حاجة لفحص مؤلفات الكاتب التي تتعلق بمهنته؛ فهي معلومة موصوفة في مجال العمل القانوني المعاصر في عدد من الأقطار الإسلامية. فإلى جانب الحكم الأخلاقي المتكرر طبقاً للنظرة المسيحية، فإن هناك فكرة رئيسية قد عرضت في السطور السابقة. والشريعة الإسلامية ليست نصوصاً جامدة، وقد تعرضت خلال التطبيق لمحاولات التجديد والتنقيح، وبصورة قوية في الزمن القريب. ولكن الكاتب لا يعنى كثيراً كما يتضح من كتابته بتفهم تاريخ الشريعة الإسلامية! إن الأصول الرئيسية للشريعة هي القرآن والسنة، فللشريعة طابعها الإلهي، ولكنها تستمد من مصادر أخرى بجانب هذين المصدرين خلال تجارب الإنسان في الحكم، فهناك مجال للصنعة البشرية أيضاً. ومن هنا يكون القانون معرضاً للمراجعة والتنقيح من الإسلام إلى أيامنا هذه<sup>(٢)</sup>.

ولنضع موضع التقدير - على سبيل المقابلة - مسلك باحث له جهده المتميز في دراسة الشريعة الإسلامية، أنه يدفع النتائج إلى ثانياً بحسه في تحامل تمليه عداوة متأصلة كامنة!<sup>(٣)</sup> وعلى الرغم من أن بعض أهل العلم من المسلمين يجدون تحليله متشككاً، وقد يناقشون مؤلفه تفصيلاً، إلا أن دراسته الرئيسية على الرغم من ظاهرها ليست مما يصطدم تماماً مع أصول الإسلام، فسواء أكانت الشريعة الإسلامية طبقاً لنظرة الدين مستمدة بالدرجة الأولى من القرآن والسنة، أم كانت ثمرة تمحيص فقهاء القانون القائم المألوف existing customary law وأصحاب - الخبرة الإدارية كما يقرر البحث المشار إليه، فإن التيسجة في الحالتين واحدة. وبالنسبة للجماعة الإسلامية في عهدها المبكر كان هذا التاج نظاماً قانونياً، يتفق مع القرآن

(١) انظر مثلاً J.N.D. Anderson. Islamic Laws in the Modern Word, New York, 1959 98.

(٢) انظر مثلاً الملاحظات التمهيدية فيما بعد تحت رقم ٤.

(٣) I. Schacht; The Origins of Mohammedan Jurisprudence Oxford, 1950

والسنة والتجارب المعتمدة. ويلزم مثل هذا الحياد العلمى فى دراسة التجربة القانونية المعاصرة، فلا يختلط باعتساف الأحكام الخلقية أو الدعاية، والتشريع الحديث فى صورته المنسقة التى انتهى إليها، ينبغى أن يوزن بموازين الإسلام، وطبقاً لهذه الموازين لا بد للتشريع الحديث كى يكون ناجحاً أن يكون مزاجه التركيبى الخاص synthesis كما كان للتشريع فى عصوره الأولى، ولن يعنى هنا تشكيل آلى جديد لنصوص التراث القديم، ولا تركيب مدنى يستتر وراء واجهة إسلامية، إن ما يلزم فى هذا الصدد هو (تقويم للحياة الاجتماعية العصرية، والفكر القانونى المعاصر من زاوية إسلامية)<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(٤)

عندما استغرق الجدليون الأول فى الإساءة إلى الإسلام والتضليل فى فهمه، كان غرضهم تخريبياً هداماً، وبدخول الأهداف التبشيرية أصبحت هناك حاجة إلى شىء من (الموضوعية)؛ وأصبح منهج العمل مزيجاً من تشويه الإسلام وإظهار معانيه، ولكن على أساس من وقائع أكثر ثباتاً، لأجل المقارنة مع المسيحية، وقد هجرت الآن الطريقة الأولى عملياً، أما الثانية فقد هون منها شيئاً ما، أو ألبست زياً جديداً، ومن صورها المعتدلة القول بأنه لا بد للإسلام من (إصلاح) reform ولا نستطيع أن نتبين أول من نادى بهذا الاقتراح أو استعمل هذا التعبير فى دلالة الغربية، ولكن من الواضح جلياً أن كثيراً من الهراء قد سطر حول هذا الموضوع حتى غدا من الضرورى استجلاء معانيه.

إن المستشرقين - وبخاصة البروتستنتيين منهم - لم يستطيعوا أن يحرروا أنفسهم مما يمكن تسميته بحتمية (الإصلاح) فى دين من الأديان! ولعله لا يكون مجرد مصادفة أن الباحثين اليهود (والروم الكاثوليك) قلما ينشطون للمشاركة فى هذا الموضوع، الذى يكاد يكون حكراً للباحثين البروتستنتيين، وعلى الرغم من أن المطابع قد قذفت بكثير من المحاولات التى تتناول مسألة (الإصلاح) فى الإسلام المعاصر، وعلى الرغم من أنه لا تبدو بوادر توقف أو تناقض فى هذا السيل المنهمر

J. Schacht; Problem of Modern Islamic Legislation in *Studia Islamica*, XLII, 129. (١)

يبدئ ويعيد القول في فكرة أو فكرتين بعبارات متباينة، إلا أننا مازلنا نفتقد صياغة واضحة متلاحمة الأجزاء لهذه الأفكار فيما نشر، ويصرف النظر عما يخفيه هذا القناع في أعماق اللاشعور، فإن اقتراح (إصلاح) الإسلام إذا أخذناه بظاهره يمثل محاولة أخرى لتغيير وجهة نظر المسلم عن الإسلام ولجعل الإسلام أقرب بقدر الإمكان إلى المسيحية، أو إلى الصورة البروتستنتية إذا شئنا تعبيراً أفضل!!

وإذا تركنا جانب المدنية والحضارة والثقافة، فإن للإسلام بالضرورة مجالين: العقيدة والشريعة، والأولى بالطبع محكمة جلية لأفهام العالم كله وليست معرضة لتغيير، أما شريعة الإسلام فهي مستمدة من الوحي ومن نصوص السنة التي وردت خلال التجربة البشرية للحكم. ومن هنا كانت هذه الشريعة منذ أيام الخلافة الأولى حتى وقتنا الحاضر معرضة للتفسير واختيار ما يلائم نظم الإدارة ويوافق الفن القانوني المعروف والتجربة، وما يقابل في الأيام الأخيرة التشريع المدني، فأين يريد دعاة (الإصلاح) أن يقحموا إصلاحهم، وما هو بالضبط الذي يريدون أن يقحموه، ولأى غرض من الأغراض؟!

نحن لا نريد أن نروغ إلى تفصيلات فرعية، ولكن ينبغي أن يتضح لكل ذي علم صحيح بالإسلام أن الإصلاح بمعناه المفهوم لا يمكن أن يتسرب إلى مذاهب الاعتقاد دون أن ينقص من سلامتها أو يقضى عليها تماماً. ومن هنا لا يبدو محتملاً أن يقبل مفكر مسلم أن يساند مثل هذه المشروعات، ولو فعل لما وجد مرجعاً دينياً مسؤولاً يتسامح معه فيما ذهب إليه، ومن يؤيد من علماء المسلمين مثلاً صورة جديدة في عرض الإسلام تذهب إلى تطعيم كيان العقيدة الإسلامية بالاعتقاد المسيحي في الخطيئة الأصلية original sin أو التجسيد incarnation!

وللتمثيل على الاضطراب والتخطيط في هذا (الإصلاح) يكفي أن تبصر حقيقة الازدواج المتناقض في منزع دعاة هذا الإصلاح من غير المسلمين: فهم بينما ينعون على الإسلام الجمود حتى إنه لا يقبل من التغيير في نظامه إلا قليلاً، إذا بهم حين تستحدث تغييرات بعيدة المدى لا يتركون فرصة إلا ويبرزون أن مثل هذه التغييرات فيها تفويض للشريعة، والجماعة الإسلامية تستطيع الحكم في مثل هذا الأمر بصورة أفضل قطعاً، مستهدية بمبدأين في هذا السبيل: أن يكون التغيير متفقاً مع

المصلحة بالنسبة للجماعة، ومع مبادئ العدالة. حقيقة تشور اعتراضات على مثل هذا التغيير حتى في زمننا، والاختبار الضروري لسلامة التغيير الحادث قديماً وحديثاً، هو رضا الرأي العام في الجماعة وموافقة العلماء في الإقليم الذي يجرى فيه التغيير. وهناك شواهد طيبة أن هذه السلطات مازالت الآن كما كانت من قبل تبدى مرونتها وسماحتها للتوافق مع الأحكام المستحدثة.

وأول مستشرق ناطق بالإنجليزية ينتج ثماراً فكرية للإسلام في العصر الحديث، وما فتئت أفكاره تعمل على تزويد من يأتون بعده بالأصول التي تحتاج إلى التوسع، يوجه عنايته كي يتوقى أن يقحم نفسه متطفاً على جماعة المسلمين أو يجعل نفسه وصياً عليهم حامياً لهم. فكل ما يفعله المسلمون، أو ما سوف يفعلون في نهجهم العقيدى أو الشرعى يرده المستشرق الرشيد إلى أهله من العلماء<sup>(١)</sup>، أما الباحثون الذين لا تكون لهم مثل هذه العناية فهم يقفزون من الدراسة الوصفية إلى اقتراح العلاج وإصدار التنبؤات عن المستقبل. ولا يستطيع الغريب على نظام ديني أن يتخلى عن أن يكون لطيفاً - فهذه صفة أولية لا بد منها كي يتوقع من الناس أن يسمعه أو يحترموه!

إن الإدراك الديني تجربة روحية حدسية intuitive، ولا يمكن التقاطها بالمناهج التحليلية والنقدية. وهؤلاء الذين يكونون خارج نظام ديني لا يمكنهم اقتناص دلالة التجربة التي يمارسها من يعيشون داخل هذا النظام<sup>(٢)</sup>. إنه شيء لا يمكن تعلمه من الكتب. ومن هنا كان الخلط في طبيعة أهداف «الإصلاح» المزعوم بين دعائه من غير المسلمين. ومن هنا كانت الصعوبة التي يواجهها من يعيشون داخل الجماعة الدينية في تفسير دينهم لمن يطلون عليهم من الخارج ويحاولون عبثاً تقدير لحنها الأساسى في أغواره العاطفية والحدسية البعيدة، مما يغفل عنه المستشرقون الذين يستمدون - معرفتهم بالإسلام أساساً من الكتب.

(١) J. N. D. Anderson. Islamic Laws in the Modern World, New York, 1959, 98.

(٢) انظر مثلاً P. Ferris The Church of England London 1962 نقلاً عن Observer Oct. 7

1962. «إن الذى ينظر من الخارج متسانلاً عن الكنيسة يأتية الجواب غالباً بأنه لا يستطيع أن يفهمها

ما لم يكن فى داخلها حتى وإن كانت تعتبر مثل هذه المحاولة من جانبها أحياناً تطاولاً غير مستساخ.

«impertinent».

وفى الحالات النادرة التى يناقش فيها هؤلاء معالم الإسلام مع علماء المسلمين أنفسهم فلما تكون النتيجة مرضية، فالمسلم يفترض أن المستشرق ينتهى إلى اتهامه بالجهل دون تبرير معقول! ثم إن هناك صعوبات اللغة نفسها، وقليل من المستشرقين من يستطيع إدارة مناقشة بالعربية (أو الفارسية أو التركية) أو المضى فيها. ولا يزال المسلمون الذين تمكنوا من لغة أوربية يعانون نقصاً، فإنهم قلما يستطيعون أن يبادروا المستشرق فى استعارة الإشارات الثقافية اللماحة فى تلك اللغة، فضلاً عن النفاذ إلى تراثها الكلاسيكى والاستحواذ عليه واستعماله.

هذه بعض العقبات التى تجعل اقتراحات المستشرقين إما غير مقبولة أو سيئة الأثر. وبينما كان كاتب هذه السطور يجمع المادة اللازمة لدراسته كانت الكتابات المنشورة التى تضمنتها قد درست من المستشرقين والباحثين المسلمين والعرب فى أوروبا وأمريكا والعالم العربى. والمثال المناسب للمقام هنا هو رأى باحث يجمع بين التعليم الدينى الإسلامى والتعليم فى جامعة غربية. أن يقول: «لقد عرفت بعض المستشرقين الذين يتعاملون مع الدارسين المسلمين فى استعلاء وتعظيم. وكان هؤلاء المستشرقين إذا ما تساءلوا عن مسألة إسلامية، فكأنما يعلنون ضمناً أنهم يعلمون كل شىء عنها سلفاً، فى حين أنهم يأخذون بوجهة نظر أخرى مع قليل من التبصر الحقيقى والنفاذ إلى الأعماق!»

وفى صدد موضوع «الإصلاح» نبدى ملاحظة بنغمة أو بأخرى. وينبغى ألا يفترض على أية حال أن مثل هذا الحنق الذى انعكس على السطور السابقة إنما تسبب عن مصادمات اجتماعية أو أكاديمية سطحية. وربما يخاطر المرء بالقول بأنها لا تنجم ابتداءً من بواعث دينية مباشرة. ولكن التاريخ المشتم للدراسات الإسلامية التى خرجت إلى الوجود من سلالة الجدول والتبشير، وميراث الصراع العسكرى الطويل بين عالم المسيحية والإسلام، لا يزال كلاهما يلعب دوره بصورة شعورية أو لا شعورية فى تحديد اتجاهات المسلمين. هناك شعور أحدث تاريخاً وأكثر مرارة أن أفكار «الإصلاح» جاءت مع النفوذ السياسى المسيحى على أجزاء كثيرة من أرض الإسلام، أو نتيجة لهذا النفوذ<sup>(١)</sup>. ولقد كان اللقاء المبكر بين الإسلام والفكر الإغريقى شيئاً مختلفاً. فقد كان الإسلام يحكم فى مقام رفيع وكان هو السيد

(١) أحمد أمين: يوم الإسلام ص ٢١٥.

صاحب الرأي والتمييز، يقبل أو يرفض ما يشاء من العناصر الأجنبية، أما فى الزمن الحديث: فإن تمييز الإسلام لما يقبله أو يرفضه يمليه أو يدفع أو يحد منه أفراد أو هيئات أجنبية غير إسلامية يشك المسلمون أحياناً فيها ويرون أنها تتصرف وفقاً لما تمليه المصالح الأجنبية.

وقد يفسر هذا لماذا لا ينال «الإصلاحيون» من ذوى التوجيه أو التشجيع الغربى أى نجاح فى استمالة تفكير المراجع الإسلامية المسؤولة. وإنما هم ينالون الإعجاب أساساً من المستشرقين وأشياءهم. ومن ناحية أخرى كثيراً ما يدفع بالرجعية المصلحون الأصلاء من أبناء الأمة الذين قد يكون لديهم شىء جوهرى له قيمته، وكذلك لا ينال كل الرضا من اختاروا طريقاً وسطاً يقترب قليلاً أو كثيراً من أسلافهم فى العصر الذهبى، وإنما يقال عن هؤلاء إنهم تم يذهبوا المدى الكافى! ولكن هؤلاء لا يستطيعون أن يذهبوا أبعد من ذلك. فإن العلماء فى كل العصور لديهم موهبة فطرية جماعية تشير لهم إلى أى مدى يذهبون، وماذا يرتضون من حلول التوفيق؟ وأين يصمدون تبييناً لنظامهم؟ ولقد كان محمد عبده وتلاميذه أصحاب مثل هذا التوفيق، ولم يكن تزلزلت الوهابية Puritonism فى طرف أو تحرير بعض المسلمين الهنود Liberalism من الطرف الآخر شيئاً مقبولاً عند هؤلاء أو عند الجماعة الإسلامية فى جملتها.

ومن أجل ذلك كانت الضرورة الأولى اللازمة لآى تغيير أو إصلاح ناجح أن يتبع من داخل الأمة، ويصدر منها ابتداء فى استقلال عن أى سيطرة أو إحياء من جهة أجنبية. ومنذ التجديد التمهيدي الأصيل فى الإمبراطورية العثمانية فى نهاية القرن الثامن عشر فى عهد سليم الثالث، ومنذ جهود مفكرى المسلمين فى الهند للملاءمة بين الشريعة الدينية وبين واقعيات السيادة غير الإسلامية تحت ضغط الإجراءات القانونية البريطانية فى الهند، استمر التغيير فى تطبيق الشريعة الإسلامية إلى وقتنا هذا، ولربما تزايدت سرعة التغيير نتيجة لاسترجاع الأمم الإسلامية سيادتها أو نيلها الاستقلال، لكنها لم تبطن قط، وإذا كانت المعارضة قوية للتغيير فى مبدئه، فإنما كانت تمليها إلى حد بعيد الخشية من تعرض الشريعة المقدسة للخطر فى أيدي الأجانب غير المسلمين، ولقد تزايد التغيير ولكن تضاءلت

المعارضة. وقد يكون من أسباب ذلك الشعور بالضمان فى ظل الحكم الإسلامى وغلبة الواقعية ونزعة التوفيق على المراجع الدينية المسؤولة.

إن من الخطأ إذن المضى فى تأكيد القول بجمود الإسلام وعدم قبوله للتغيير. فإذا ما تجاوزنا دائرة العقيدة الأساسية وبعض المسلمات الدينية المحدودة، فإن الإسلام قد واجه تغييرات ثورية فى هذا الجزء من نظامه الذى يوجه حياة الفرد والجماعة. ومع ذلك يكتب لاهوتى مسيحي يتميز بأنه يعد مبشراً مستتيراً أو مبشراً له دراية بالإسلام فيقول منذ قليل<sup>(١)</sup>: «إن على الإسلام إما أن يعتمد تغييراً جذرياً فيه. أو أن يتخلى عن مسابقة الحياة!» ومن الصعب تبين ما يعنيه ذلك بالضبط. ولكن فى ضوء ما سلف من مناقشة يكون أحد شطرى هذا التقرير غير مقبول، أما شطره الثانى فيبدو وكأنه دعوة يوجهها إلى المسلمين غريب عنهم بشأن ما يفعلون فى دينهم! وإلى هذا الحد يصل التخليط بدعاة (الإصلاح)<sup>(٢)</sup> إن القوم لا يتصرفون فى المضمون والتفاصيل. فهم يتورطون فى التعميمات المبهمة التى لا تثبت للامتحان.



(١) K. Graag. The Cal of the Minaret New York, 1956.

(٢) انظر مثلاً تعبيراً مضللاً آخر «إصلاح دين الإسلام Reform of the religion Islam الذى يستعمله

G. G. Adams Islam and Modernism in Egypt, Oxford 1933, 2, 187.

## محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
● الطبعة الثامنة.....	٥
● تقديم الطبعة الرابعة.....	٧
● تقديم الطبعة الثالثة.....	٩
● تقديم الطبعة الثانية.....	١١
● تقديم الطبعة الأولى.....	١٥

### فاتحة

(٢٩ - ٢١)

الاستعمار الغربى يتسلل إلى العالم الإسلامى.....	٢٣
العالم الإسلامى فى نظر الغرب المستعمر.....	٢٤
وسائل الاستعمار فى إضعاف المسلمين فى إسلامهم.....	٢٨

### الباب الأول

#### اتجاه حماية الاستعمار، أو الاتجاه الضكرى المماتى

(٥٦ - ٣١)

مفكرون من المسلمين مع الاستعمار.....	٣٣
حركة أحمد خان.....	٣٣
المذهب القاديانى.....	٣٨
الأحمدية.....	٤١
المستشرقون والاستعمار.....	٤٣
النزعة الأولى: إضعاف القيم الإسلامية.....	٤٣
النزعة الثانية: تمجيد القيم الغربية المسيحية.....	٥٤

### الباب الثانى

#### اتجاه مقاومة الاستعمار الغربى

(١٤٩ - ٥٧)

مقاومة مزدوجة.....	٥٩
محمد جمال الدين الأفغانى.....	٦١

٦٨	مقاومة جمال الدين للاستعمار الغربي والفكر الإسلامى المعاون له
٦٨	الرد على الدهريين فى الهند
٦٩	الدين ضرورة للمجتمع
٧٠	أضرار المذهب الطبيعى المادى على المجتمع
٧٢	الدين الإسلامى
٧٣	محاربة الاستعمار البريطانى
٨٣	جمال الدين وابن تيمية
٨٥	تقدير المستشرقين لجمال الدين
٩٥	محمد عبده
٩٥	أهداف تفكيره
٩٦	محمد عبده فى طريق جمال الدين
٩٨	الشيخ محمد عبده القروى المصرى الأزهرى
١٠٠	الشيخ محمد عبده المفكر
١٠١	الجانب القومى
١٠٥	الجانب الاجتماعى
١٠٦	الروح الجماعية
١٠٨	وجوب مساهمة الأغنياء فى تعليم الأمة
١٠٩	التعليم الدينى يحتاج مسلكاً آخر
١١١	عيوب المجتمع المصرى
١١٤	ضرورة إعادة توزيع الثروة فى الأمة
١١٦	جانب الاعتقاد
١١٦	مشكلة الجبر
١٢١	فى صلة العقل بالوحى
١٢٣	جانب التربية والتوجيه العام
١٢٤	محاربة الحزبية المذهبية التقليدية
١٣٣	محاربة سلطة الكتاب الموجه وهو كتاب المتأخرين
١٣٤	إحياء كتب الأوائل
١٣٥	إصلاح الأزهر

- ١٣٩ . . . . . تقدير المستشرقين لمحمد عبده . . . . .
- ١٤٠ . . . . . محمد عبده والسير أحمد خان . . . . .
- ١٤٣ . . . . . محمد عبده ومحمد بن عبد الوهاب . . . . .

### الباب الثالث

### التجديد في الفكر الإسلامي

(١٥١-٢١٧)

- ١٥٣ . . . . . اتجاه الفكر الإسلامي منذ بداية القرن العشرين . . . . .
- ١٦١ . . . . . طابع التفكير الغربي . . . . .
- ١٦٣ . . . . . أثر الحملة الصليبية في تشويه الإسلام . . . . .
- ١٧٣ . . . . . المجددون في مصر . . . . .
- ١٧٤ . . . . . بشرية القرآن . . . . .
- ١٧٤ . . . . . صورتان . . . . .
- ١٧٤ . . . . . الصورة الأولى . . . . .
- ١٧٩ . . . . . الصورة الثانية . . . . .
- ١٨٠ . . . . . فكرة كتاب الشعر الجاهلي . . . . .
- ١٨٩ . . . . . رأى القرآن في كتابي المذهب المحمدي والشعر الجاهلي . . . . .
- ١٩٢ . . . . . الإسلام دين . . لا دولة . . . . .
- ١٩٢ . . . . . الدين والدولة في الإسلام . . . . .
- ٢٠٢ . . . . . الإسلام وأصول الحكم . . . . .
- ٢٠٣ . . . . . الإسلام دين لا دولة . . . . .
- ٢١١ . . . . . ليس في الإسلام سياسة، وما فيه من سياسة لا يتصل بالدين . . . . .
- ٢١٣ . . . . . الزعامة النبوية . . . . .
- ٢١٦ . . . . . خصائص الزعامة النبوية موقوتة بوقتها . . . . .
- ٢٢٠ . . . . . وحدة الدين لا وحدة الحكومة . . . . .
- ٢٢٢ . . . . . الدين خرافة . . . . .
- ٢٢٣ . . . . . المذهب الإسمي . . . . .
- ٢٢٦ . . . . . المذهب التجريبي . . . . .
- ٢٣٠ . . . . . ملخص هذين المذهبين . . . . .

٢٣٣	خرافة الميتافيزيقا
٢٤٣	الدين مخدر
٢٤٣	الصراع بين الدين والعقل والحس فى تاريخ الفكر الأوربى
٢٤٣	سيادة النص أو الدين
٢٤٥	سيادة العقل
٢٤٧	بلانش
٢٤٨	فيشته
٢٤٨	مبدأ النقيض
٢٥١	الجماعة الإنسانية الخاصة والعامة
٢٥٢	هيجل
٢٥٤	الدولة والله، الغاية الأخيرة للعقل
٢٥٥	بين فيشته وهيجل
٢٥٩	سيادة الحس ومذهب الوضعية
٢٦٢	كومت
٢٦٥	فيرباخ
٢٦٧	اشتين تال
٢٦٨	ماركس
٢٦٩	الصراع بين الطبقات
٢٧٢	الدين مخدر
٢٧٤	المذهب المادى التاريخى
٢٧٦	الماركسية كنظام سياسى للجماعة
٢٧٧	قيمة الماركسية كمذهب فلسفى
٢٨٠	ملاحظات على الفلسفة الماركسية
٢٨٧	الماركسية والدعاية الشيوعية
٢٩٣	الماركسية والتجديد فى الفكر الإسلامى
٢٩٦	عناصر الدعاية الشيوعية فى التجديد فى الفكر الإسلامى
٢٩٧	ثبات القيم المعنوية
٣٠٣	تحرير المرأة

٣٠٤	العمل البدنى.....
٣٠٧	التفسير المادى الاقتصادى للتاريخ.....
٣٠٩	إيمان بحيوانية الجسد وكفر بإنسانية الإنسان وبخالقه.....
٣١٠	هذه هى الماركسية.....
٣١١	الشيوعية إفلاس فى الجماعة.....
٣١٤	الماركسية تنتظر الشيوعية.....
٣١٤	الإسلام.....

#### الباب الرابع

#### الإصلاح الدينى

(٣١٩ - ٣٨٤)

٣٢١	حقيقة الإصلاح الدينى فى الإسلام.....
٣٢٥	محمد إقبال.....
٣٢٦	دوافع الإصلاح.....
٣٢٦	المسلم المعاصر.....
٣٢٨	الإنسان الأوربى المعاصر.....
٣٢٩	طبيعة الإسلام.....
٣٣٢	إصلاح الفكر الدينى.....
٣٣٣	نظرة الإسلام إلى العالم الواقعى.....
٣٣٦	لا انفصالية ولا اتحاد فى الوجود.....
٣٣٧	التجربة فى مجال الدين والعالم.....
٣٤٤	وحدة الذات الإنسانية وخلودها.....
٣٥٢	الذات الكلية.....
٣٥٩	الإسلام فى توجيه الإنسان.....
٣٦٠	مبدأ التغير فى العالم الطبيعى.....
٣٦١	المجتمع الإنسانى.....
٣٦٣	مبدأ الحركة فى الإسلام.....
٣٦٥	ختم الرسالة المحمدية.....
٣٦٧	الاجتهاد.....

- ٣٦٨ ..... محمد إقبال فيما أرى  
 ٣٧٢ ..... يلاحظ على تفكير إقبال

### الباب الخامس

#### الإسلام غدا

(٢٨٦ - ٤٠١)

- ٣٨٧ ..... مواجهة الإسلام للصليبية والماركسية  
 ٣٨٧ ..... ما أصاب الإسلام من المواجهة  
 ٣٨٨ ..... ما أفاد الإسلام من المواجهة  
 ٣٩٠ ..... الإسلام فوق الزمان والمكان  
 ٣٩٣ ..... الفراغ فى الحياة التوجيهية العامة  
 ٣٩٥ ..... الأزهر  
 ٣٩٩ ..... الأزهر فى تنظيمه الجديد

### الباب السادس

#### ملحقات: المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام

(٤٠٣ - ٤٨٢)

- ٤٠٥ ..... مقدمة  
 ٤٢١ ..... المستشرقون المعاصرون  
 ٤٣٣ ..... المتطرفون من المستشرقين  
 ٤٣٩ ..... بعض الكتب المتطرفة  
 ٤٤٣ ..... كتاب «مجد الإسلام» لجاستون فييت  
 المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ومدى اقترابهم من حقيقة الإسلام والقومية  
 ٤٥٥ ..... العربية «للأستاذ طيباوى»  
 ٤٨٣ ..... محتويات الكتاب

